

إحْذرُوا الآيْدز الحَرَكيّ؟

ظاهِرَة تمزّق البُنىٰ التّنظيميّة وَكيفَ نَصُون بُنيَتنَا ؟

المؤسّسة الإسلاميّة
للطباعة والصّحافة والنّشر

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

المؤسسة الإسلامية
للطباعة والصحافة والنشر
بيروت - ص.ب: ٥٢٦٦
هاتف: ٣١١٠٣٢

الإهداء..

إلى الأخوة، قادة الحركات الإسلامية في كل مكان..

إلى كل مسلم في عنقه بيعة وعهد..

إلى العاملين في الحقل الإسلامي على امتداد الساحة الإسلامية وتشعباتها وأصعدتها المختلفة..

أطلق صيحة التحذير من الشر المستطير والخطر الكبير، خطر التلوث بوباء (الإيدز الحركي) الذي يفتت الحركات والتنظيمات ويدمرها ويجعلها أثراً بعد عين..

الوباء الذي جاء التحذير القرآني منه شديداً وصارخاً في قوله تعالى:

﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

فهل من مجيب ومستجيب؟.

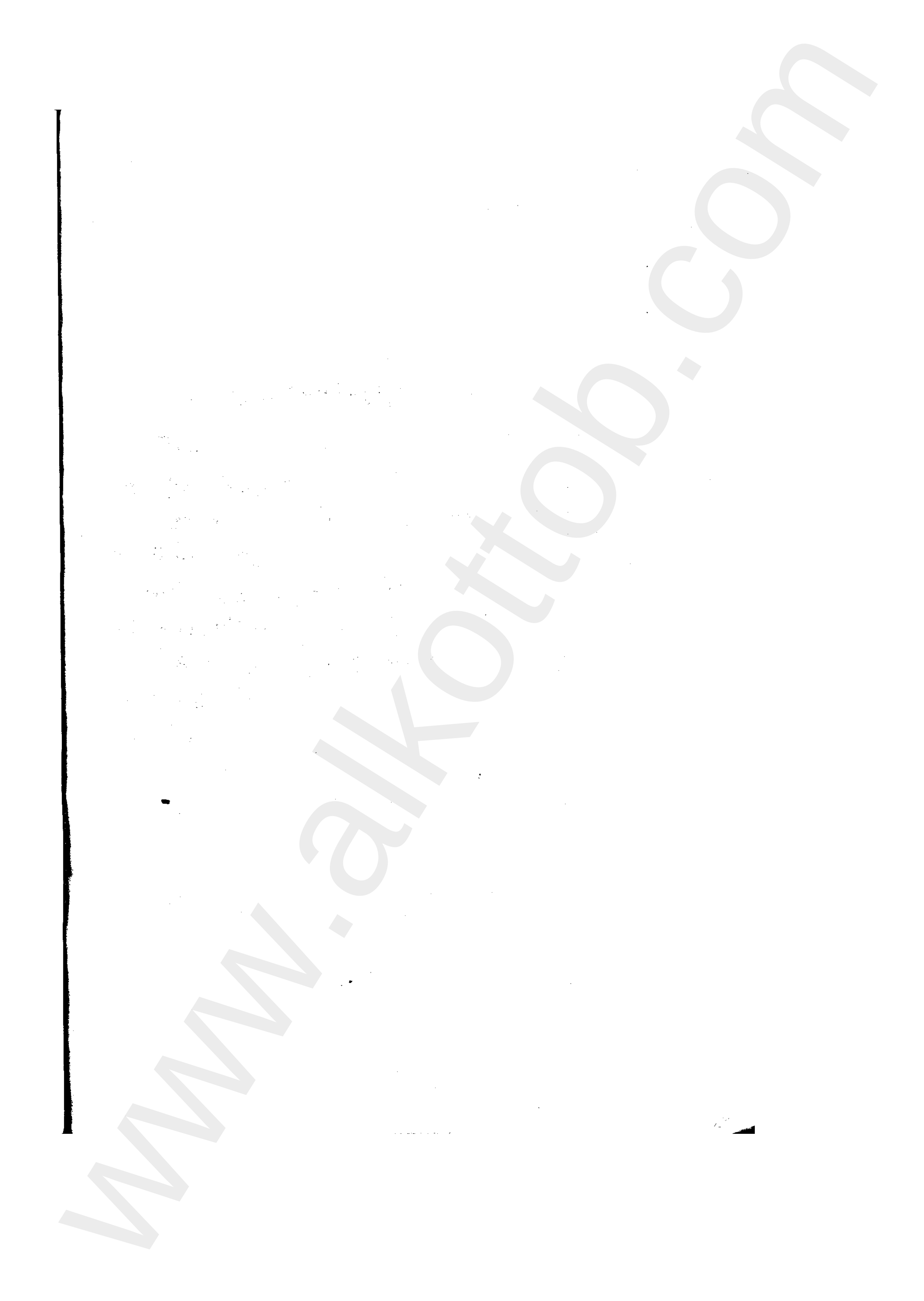
أرجو أن يكون كذلك، والله المستعان، وعليه التكلان.

١ رمضان ١٤٠٩ هـ المؤلف

٦ نيسان ١٩٨٩ م


بسم الله الرحمن الرحيم

المحتـــوى



الفصل الأول

ظاهرة تمزق البُنى التنظيمية على الساحة اللبنانية

١ ـ من ضحايا هذه الظاهرة.

٢ ـ أسباب هذه الظاهرة.

ـ فقدان المناعة.

ـ التجميع الكيفي للأفراد.

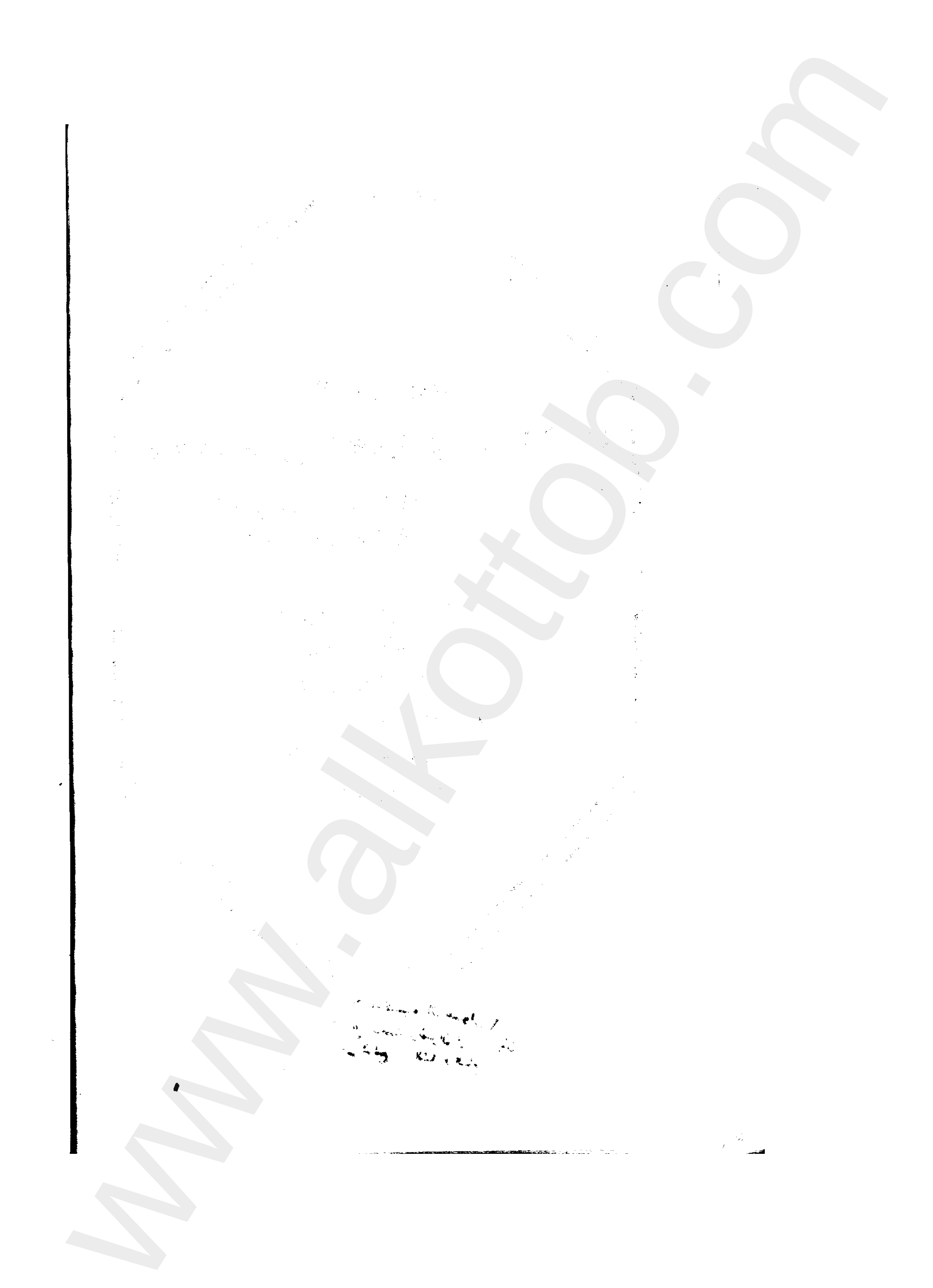
ـ الارتهانات الخارجية.

ـ اللهث وراء السلطة.

ـ نشوء مراكز قوى ضمن الحركة.

ـ الاختراقات الخارجية.

ـ ضعف الوعي السياسي.



١ ـ من ضحايا هذه الظاهرة:

ظاهرة ملفتة، وتستدعي التأمل والدراسة والتفكير، كما تستدعي استكشاف الأسباب والخلفيات التي تقف وراءها. . إنها ظاهرة تمزق معظم البنى التنظيمية والحركية والطائفية والمذهبية على الساحة اللبنانية. فتحتَ عجلة الأحداث التي بدأت منذ عام ١٩٧٥ ضربت هذه الظاهرة القوى والأحزاب والتنظيمات والطوائف على مختلف هوياتها وانتماءاتها الفكرية والسياسية. فمنها من باد وانتهى، ومنها من تفسخ وانقسم. .

ـ فحركة أمل انشق عنها (أمل الإسلامية) وجرى بينها وبين حزب الله قتال ضار ذهب ضحيته مئات من القتلى والجرحى من الطرفين.

ـ والحزب السوري القومي الاجتماعي شهد انشقاقاً كبيراً قذف بالحزب في بؤرة الاقتتال الدموي والتصفيات الجسدية المتبادلة.

ـ والحركة الناصرية انقسمت إلى مجموعة فصائل، كان

منها: المرابطون، واتحاد قوى الشعب العامل، والتنظيم الشعبي الناصري، وقوات ناصر، والاتحاد الاشتراكي العربي، وغيرها..

ـ والكتائب اللبنانية انشقت عنها القوات اللبنانية التي هيمنت على القوة العسكرية للكتائب، تلاها الانشقاق الكبير بين قيادتي ونهجي إيلي حبيقة وسمير جعجع. وهي مرشحة اليوم لمزيد من الانشقاقات.

ـ والجبهة اللبنانية هي الأخرى شهدت هزات عنيفة على مدار تاريخها. كانت الهزة الأولى يوم أقدم حزب الكتائب على تصفية الجناح العسكري لحزب الوطنيين الأحرار في معركة (الصفراء) المشهورة.. وكانت الهزة الثانية يوم أقدم فريق من حزب الكتائب على تصفية قائد المردة طوني فرنجية وعائلته ومجموعة كبيرة من محازبيه ومرافقيه فيما عرف بمجزرة إهدن.

ـ وحركة التوحيد الإسلامي التي قفزت إلى واجهة الأحداث في مدينة طرابلس، والتي امتلكت قرار المدينة على مدار عمرها الذي لم يتجاوز الأربع سنوات دمرتها صراعات الأجنحة ومراكز القوى المختلفة.

ـ وهكذا تنتقل ظاهرة تمزق البنى التنظيمية من حركة إلى أخرى من غير أن تعتبر واحدة منها بالأخرى، ومن غير

أن تأخذ بأسباب التحصن. فإذا بكل فئة تقع في نفس ما وقعت فيه سابقتها وتصاب بمثل ما أصيبت به من علل ومشكلات..

فلنرَ الآن ما هي الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة الخطيرة المدمرة تلمساً للعبرة، واستفادة من التجربة، وإغناءً للخبرة، والحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها، كما يقول رسول الله ﷺ.

٢ ـ أسباب هذه الظاهرة:

هنالك أسباب متعددة ومختلفة تقف وراء ظاهرة تمزق البنى الحزبية والتنظيمية على الساحة اللبنانية نسوق منها ما يلي:

أولاً: فقدان المناعة العقدية وعدم قيام البنية على أسس فكرية ومبدئية ثابتة.. فقد يكون التنظيم زعامياً يقوم على أساس الولاء لزعيمه.. وقد يكون شخصانياً تطغى عليه سلطة الشخص وهيمنته.. وقد يكون مصلحياً نفعياً يهدف إلى تحقيق مكاسب مادية وحسية ليس إلا.. لذلك تصبح بنية التنظيم ضعيفة وهشة لا تقوى على مواجهة الأحداث والعقبات، فيهتز البناء ويتصدع الصف وتقع الكارثة.

ثانياً: التجميع الكمي للأفراد وللقاعدة، بحيث يصبح الكم والعدد الشغل الشاغل للقيادة، ظناً منها أنها بذلك تحرز النصر وتحقق الغلبة وهي لا تدري أن الكم هو بلاء كل

قضية ومقتل كل حركة. ويكفي أن كلمةً قالها أحدُ المسلمين يوم (حنين) تُبرز الاهتمامَ والاستواءَ بالكم: (لن نُغلب اليوم من قلة) كانت سبباً في الهزيمة التي صورها القرآن الكريم أبلغ تصوير حيث قال: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين..﴾ [التوبة: ٢٥].

التجميع الكمي هذا إن نُظر إليه من زاوية البيئة اللبنانية وخصوصياتها يمكن اعتباره من أكبر وأخطر معاول الهدم في الحركات. فالأحداث اللبنانية من خلال تضاريسها ومراحلها المتعددة أفرزت شريحة واسعة وعريضة في المجتمع برسم الإيجار وتحت الطلب كما يقولون. هذه الشريحة يمكن أن تكون القاعدة الشعبية والأداة التنفيذية لهذا الفريق أو ذاك وقد تكون عوناً لهذا التنظيم اليوم وضده غداً وهكذا دواليك، تبعاً لبورصة العرض والطلب، وبحسب الظروف والمناخات المحلية والإقليمية والدولية..

والحركات اللاهثة وراء مغانم سريعة، والتي تتعجل بلوغ الأهداف، أية أهداف، ولو كانت زعامة حي أو شارع، أو احتلال عمارة أو مؤسسة، أو غير ذلك من توافه الأغراض، تجد نفسها مضطرة للتعامل مع هذا النمط من الناس لتكثير سوادها. فإذا بها ضحية هذا السواد ومن غير أن تعتبر بمن سبقها في هذا الميدان..

ثالثاً: ومن الأسباب الكامنة وراء ظاهرة تمزق البنى التنظيمية الارتهان الخارجي، سواء كان هذا الارتهان لأنظمه ودول، أو لمراكز وقوى سياسية أو مالية أو أمنية أو لهذه الجهات مجتمعة أو لبعضها. مما يفقد التنظيم ذاتية القرار والتوجه والسياسة، ويجعله أداة لتحقيق مصالح الغير وإن تراءى له أحياناً أنه بذلك يحقق مصلحته كذلك..

فكثير من الحركات والتنظيمات اللبنانية كانت أسيرة نفوذ وسياسات الآخرين.. إمّا لكونها مصطنعة في الأصل من قِبَلهم.. أو لاحتياجها إلى الاستقواء بهم سياسياً، أو لكونها مرتبطة بهم مالياً، أو لخوفها منهم أمنياً. وهذا ما أتاح لهذه الجهات فرصة تسخير التنظيمات المختلفة لتحقيق مصالحها العليا هي دون غيرها.

فكم من تنظيمات اشترتها مبالغ من الدولارات.. وكم من حركات ابتاعتها كمية من الأسلحة..

رابعاً: ومن أسباب تمزق البنى الحزبية والتنظيمية على الساحة الإسلامية اللهث وراء السلطة والحرص على بلوغ مراكز القوى ولو من غير مقومات وقدرات يمكن أن توفر أدنى نصيب من النجاح.

فكم من حركات وتنظيمات وأحزاب تسبب بلوغ السلطة في مقتلها. فالسلطة تعتبر التجربة الأخيرة في حياة كل حركة.

واستعجال هذه التجربة قبل الأوان وقبل استكمال البناء وأسباب النجاح سيؤدي حتماً إلى تداعي البناء وسقوط التجربة.

والسلطة - أية سلطة - بقدر ما تحقق لأصحابها من مغانم يمكن أن تتسبب لهم بالمغارم.. بل إن المغانم التي تحققها السلطة قد تصبح بلاء ونقمة على الحركة من خلال التنازع على توزيعها بين أفراد الحركة وقياداتها ومن خلال تسخيرهم السلطة لمآربهم وأغراضهم الشخصية والخاصة.

أذكر أن حركة من الحركات تمكنت من خلال معركة عسكرية من اقتحام موقع عسكري هام من مواقع خصومها، وكان ممتلئاً بالسلاح والذخيرة. ولكن سرعان ما تحول انتصار هذه الحركة إلى هزيمة بل كارثة بعد نشوب صراع شديد بين أفرادها بسبب الخلاف على توزيع الغنائم مما أدى إلى وقوع مجزرة سقط ضحيتها أكثر من نصف عدد المجموعة المغيرة. ثم انتقل الخلاف والصراع إلى بنية الحركة نفسها وأحدث فيها شرخا لا يمكن رأبه.

إن دراسة متأنية لما تسببه بلوغ بعض الأحزاب السلطة على امتداد العالم تظهر مدى الآثار السلبية بل المأسوية التي لحقت بهذه الأحزاب. فمن هذه الآثار سقوط بعض هذه الأحزاب وانهيارها.. ومنها انقسامها وتمزقها.. ومنها إفراغها

من محتواها العقائدي والمبدئي وتحولها إلى بؤرة نفعية تتفاعل مع ذاتها ونزواتها ليس إلا . .

خامساً: نشوء مراكز قوى وتيارات وأجنحة ضمن الحركة . . وأكثر البنى التنظيمية التي تمزقت وتشققت نالها قسط من هذا المرض الخبيث. فالحركة - أية حركة - حين تتجاذبها ولاءات متعددة، وتحكمها مراكز قوى مختلفة، ولا يخضع الجميع فيها لقيادة واحدة وقائد واحد، ولا يلتقي أفرادها والقياديون فيها على قلب رجل واحد تصبح مرتعاً للصراعات، وبؤرة لتجاذب السلطات والقرارات، وتحقيق المصالح الشخصية والغايات والنزوات . .

سادساً: الاختراقات الخارجية، وهي من الأسباب الرئيسية التي تقف وراء ظاهرة تمزق البنى التنظيمية . . وفي العصر الحديث أصبحت هذه الأسباب شائعة على امتداد العالم. فالقوى السياسية والفكرية، والأجهزة الأمنية والجاسوسية المختلفة تلجأ لضرب خصومها إلى إحداث خرقٍ ما في بنيتها التنظيمية، عبر استكشاف نقاط الضعف أولاً، ثم مد اليد والاختراق . . والمداخل إلى ذلك كثيرة . . فقد يكون المدخل سياسياً ومن خلال المصالح السياسية، وقد يكون مادياً ومن خلال احتياجات الحركة المالية، وقد يكون أمنياً ومن خلال الاعتبارات الأمنية، وقد يكون من هذه

وتلك مجتمعة أو متفرّقة أو من غيرها . .

ونظراً لضعف البنى التنظيمية عموماً، وللفراغ العقائدي الـذي تعاني منـه على مستـوى الأفراد والقيـادات، وبسبب تعاظم التكاليف المادية والمعنوية التي تـرزح تحتها، تصبـح البنية مشرعة الأبـواب، تعبث بها ـ ومن داخلهـا ـ الأيدي المغرضة بمائة أسلوب وأسلوب . .

وفي كثير من الأحيان تكون الاختراقات الخارجية السبب المباشر لنشوء مراكز قوى وتيارات وأجنحة متصارعة في الحركـة .

سابعاً: ضعـف أو انعدام الوعي السياسي لدى الحركة قد يكون عاملاً في تمزقها وانفراط عقدها . . فالحركة ـ أيـة حـركة ـ إن لم تكن عـلى مستوى عـالٍ وجيـد من الـوعي السياسي، تعيش عصرها، وتدرك حقيقة ما يجري حـولها، ولا تصرفها ظـواهـر الأحـداث عن استكشـاف حقـائقهـا وخلفيـاتها. والتي تضـع تفصيلات الحوادث ضمن أطـرهـا الكبرى، والتي تقرأ الهوامش من خلال المتون، والتي تعرض السياسات المحلية في ضوء المعادلات الدولية. إن حركة لا تكـون كذلـك أو في هذا المستـوى في عصر تتداخـل فيـه السياسات، وتتشابك المصالح ، ولا تكون ـ بالضرورة ـ ظواهر الأمور كبواطنها، سيختل سيرها، وتتناقض مواقفها، ويسهل استدارجها، فإذا بها قد لقيت مصرعها وحكمت على نفسها بالإعدام . .



الفصــل الثانــي

ماذا يجري على الساحة الإسلامية؟

١ ــ ظواهر ومؤشرات .
٢ ــ مؤشرات تآمر دولي .
٣ ــ ظواهر مرضية .
أ ــ ظاهرة التعددية وتسعير الخلاف .
ب ــ ظاهرة المذهبية المتطرفة .
ج ــ الظاهرة الاعتزالية .



١ ـ ظواهر ومؤشرات:

من واجبنا كحركة إسلامية في هذا المجتمع، وضمن هذا الكيان.. ومن خلال مجريات الأحداث اللبنانية.. من خلال أسبابها ونتائجها.. أن نقوّم هذه الأحداث، وأن نتعرف إلى القوى التي تقف وراءها وتحركها، إلى الأدوات والدمى المتعاملة معها، وإلى الإفرازات التي خلفتها على كل صعيد..

وهذا البحث سيتناول إحدى أبرز الظواهر المرضية التي خلفتها الأحداث اللبنانية، وهي ظاهرة انقسام وتفسخ البنى الحزبية والتنظيمية بشكل عام، وضمن نسب متفاوتة من الانقسام والتفسخ أو الانهيار..

والهدف من كل ذلك التأمل والاعتبار بما جرى ويجري، ومحاولة التعلم من تجارب الآخرين الذين دفعوا الثمن غالياً وغالياً..

الهدف أن نضع إصبعنا على الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة.. أن نكتشف العوامل التي أدت إلى تفسخ هذا الفريق أو ذاك..

والهدف أخيراً أن نحصّن ساحتنا الإسلامية وبنيتنا التنظيمية من أسباب هذا الوباء، وأن نكون على أعلى مستوى من اليقظة والتنبه والحذر والمناعة من عوامل التلوث بميكروبات هذا الداء وفيروساته المدمرة..

ثم إنه لا يفوتني في هذا المقام إلا أن أبين بأن الساحة الإسلامية تبقى أقل تأثراً بمثل هذه الظواهر المرضية لأسباب تتعلق بالمنهج الإسلامي وخصائص التحصين التربوي التي يتفرد بها في كافة المجالات العقائدية والعبادية والأخلاقية. إلاّ أن ذلك لا يمنع من مزيد الأخذ بكل أسباب الوقاية الفردية والجماعية والتنظيمية.

كما إنه لا يفوتني إلا أن أشير إلى نقطة هامة قد يغفل عنها الكثيرون ولا يقف عندها إلا القليل، وهي أن الساحة الإسلامية والحركة الإسلامية تواجه اليوم تآمراً دولياً تقف وراءه معسكرات ودول وأجهزة مخابرات ظاهرة وخفية هدفها إجهاض الصحوة الإسلامية والقضاء على الحركة الإسلامية بألف وسيلة ووسيلة..

ومن أخطر الوسائل على الحركات عموماً ما كانت وسائل تدمير من داخلها، ببعث الخلافات، بإيجاد التناقضات، بزرع الأدوات، وباختيار ما يتناسب لذلك من شعارات وإلقاءات وطروحات. من هنا لم يعد مقبولاً في هذا

العصر تبسيط الأمور ومواجهتها بعفوية، بل لا بد من التعامل معها بقاعدة التضعيف ثم التوثيق..

*** متغيرات دولية وإقليمية تدعو إلى الحذر:**

ثم إن مما يبعث على التخوف من المرحلة القادمة وما يمكن أن تحمله من تآمر على الساحة الإسلامية عموماً وعلى الحركة الإسلامية خصوصاً بروز جملة مؤشرات إقليمية ودولية نسوق منها ما يلي:

١ ـ التناغم القائم بين المعسكرين الدوليين ـ الشرقي والغربي ـ وبخاصة بين الاتحاد السوفياتي وأميركا مما سيجعلهما أكثر تفرغاً للتآمر على العالم الإسلامي، وعلى قضاياه المصيرية، وعلى حركاته الإسلامية.

٢ ـ تراجع الثورة الإيرانية، وخروج إيران شبه ضعيفة من حرب الخليج من شأنه أن يُوَظَّف سلباً ضد الإسلام ولتشويه صورة الحكم الإسلامي والتشريعات الإسلامية على امتداد شعوب العالم..

٣ ـ اعتماد النهج الاستسلامي بالنسبة للقضية الفلسطينية والقبول بقرارات هيئة الأمم المتحدة التي من شأنها أن تؤدي إلى الاعتراف بالعدو الصهيوني وبمشروعية إقامة الكيان الإسرائيلي على أرض فلسطين، سيدفع بالقوى الإقليمية

والـدولية إلى الضغط والتضييق عـلى الحركـات الإسـلاميـة والجهادية من أجل تمرير المشروع الخياني المذكور. .

٢ ـ مؤشرات من التـآمـر الـدولي عـلى السـاحـة الإسلامية:

ونود في هذه العجالة أن نشير إلى جملة مؤشرات رصدها الإعلام الإسلامي كدليل على خصوبـة التآمـر المتوقـع على الحركة الإسلامية في المنظور القريب. . من ذلك:

١ ـ مؤشر الأحـداث التي وقعت في باكستـان، ابتداء بمقتل ضياء الحق، وانتهاء ببروز حزب علماني وتسلمه لمقاليد الأمور، في وقت كانت البلاد تشهد مداً إسلامياً عارماً كاد عـلى وشك أن يصبـغ الحياة البـاكستانيـة في كل جـوانبهـا بالشريعة الإسـلامية. وفجـأة تجهض الصحوة الإسـلامية، ويقفز أعداء الإسلام إلى السلطة بمباركة من الشرق والغرب، ومن هندوس الهند بشكل خاص!!.

٢ ـ مؤشر الأحـداث الجارية في أفغانستـان، ابتـداء بالانسحاب السوفياتي السريـع والمشبوه من البـلاد، ومروراً بالتحركات المشبوهـة التي تستهدف احتـواء ثمرات الجهـاد الإسلامي من خلال تفجير الخلافات بين الفصائل، وإشعال الحرب الأهلية، ووصولاً إلى الخطة التي تـرمي إلى توسعـة قاعدة الحكم وإشراك الشيوعيين فيها!!.

٣ ـ مؤشر الالتفاف على الانتفاضة الإسلامية المباركة لإجهاضها وتصفيتها من خلال الطروحات الاستسلامية التي تهدف إلى الاعتراف بالكيان الإسرائيلي وتحقيق أمنه واستقراره، مقابل السماح بإقامة دويلة فلسطينية لا حول لها ولا قوة!!.

٤ ـ مؤشر الالتفاف على الحركة الإسلامية في السودان لإجهاض كل الخطى التي تحققت على طريق تطبيق الشريعة الإسلامية، وأسلمة القوانين، وذلك من خلال توظيف قضية الجنوب وتآمر بعض الزعامات السودانية مع (جون قرنق) زعيم الأقلية النصرانية في الجنوب وصولاً إلى ابتعاث نظام علماني في السودان!!.

٥ ـ مؤشر التصدع الذي أصاب بعض الحركات الإسلامية في المنطقة العربية بسبب التحالفات غير المتكافئة وغير الجائزة مع بعض أنظمة الحكم، والتي كانت مدخلاً انشقاقياً وانقسامياً مأساوياً!!.

٣ ـ ظواهر مرضية على الساحة الإسلامية:

أ ـ ظاهرة التعددية:

فالساحة الإسلامية تشهد ولادة حركات وتنظيمات وجمعيات وفرق إسلامية على نطاق واسع، وإن كان البعض يعتبر ذلك ظاهرة صحية فإنني ـ من خلال المفهوم الشرعي

للعمل الإسلامي ـ ومن خلال التقدير الصحيح للمصلحة الإسلامية، ومن خلال متابعة ما يجري عليها ـ اعتبره ظاهرة مرضية وخطيرة وتنذر بعواقب وخيمة لا يعلم مداها إلا الله.. فلو برئت التعددية من التعصب وسادت روح الأخوة بين الفئات المتعددة، وحلت أجواء التعاون والتفاهم والتنسيق بينهم، لهان الخطب، وخف المُصاب، ولكن الأمر يجري بعكس ذلك تماماً.. فالتعدديات لم تُفرز إلا مزيداً من الصراعات، ولم تتسبب إلا بإشاعة الأحقاد والضغائن بين المسلمين، مما شغلهم بالجدل عن العمل، وبالتنقيب عن السقطات والعيوب بدل التماس العذر والحرص على الستر.

والتعددية باتت اليوم مرتعاً خصباً ومُناخاً مناسباً يمكن أن يدلُف منه أعداء الإسلام إلى الساحة الإسلامية، وتحت عناوين وشعارات إسلامية في ظاهرها، وباطنها فيه الشر المستطير.

•

والمسلمون، أمام هذا السيل العرم والأرقام المتزايدة من الحركات والتنظيمات والمؤسسات، أصبحوا في حيرة.. تُرى من يصدقون، وبمن يثقون، ومع من يسيرون؟ وكأن المراد هو بلوغ هذه النتيجة لأنها الأخطر والأدهى والأمرّ!.

فالتعددية من شأنها أن ترسم علامة استفهام عريضة على كل الحركات الإسلامية، الأصيلة منها والدخيلة، الصادقة منها والعميلة، السليمة منها والسقيمة، وحين يتحقق ذلك

يصبح العمل الإسلامي بدون قاعدة، وبدون أساس، وبدون رصيد، وبدون ظهر، كما تصبح صورة الجميع مشوهة ومهزوزة!.

والتعددية مناخ مناسب لتوالد كل التناقضات على الساحة الإسلامية، وهذا كذلك مطلوب لأن أعداء الإسلام إن كانوا حريصين على شيء فعلى إحداث المتناقضات بين المسلمين واللعب عليها، والاستفادة منها في ترتيب المعادلات والتوازنات ورسم السياسات والمؤامرات..

التعددية إلى أين؟

ثم إن التعددية خرجت عن المألوف وتجاوزت ما هو معروف.. فهنالك حركات وتنظيمات قامت وتقوم وليس لقيامها من مبرر.. فإن اختلف ثلاثة مع جماعة شكلوا جماعة أخرى، وإذا فُصل خمسةٌ من تنظيم أنشأوا تنظيماً جديداً، وإن طُردت مجموعة من حركة كونت حركة تصحيحية!.

ومرض الانفصام والانفصال هذا يشبه في علم الحساب الكسر الذي يتوالد عن تجزئة الوحدة العددية، مما يتوالد عنه أعداد من الجزئيات وكسر الكسر مما لا عد له ولا حصر..

كان للتعدديات في الماضي مبررات قد تكون محل نظر وتفكير، وقد يكون لدى أصحابها أدلة شرعية معتبرة واجتهادات مبررة، ومع هذا فقد كان هؤلاء مختلقين بأدب

الخلاف وعلمية الاختلاف لا يخرجون عنها قيد أنملة..

أما اليوم فقد باتت التعدديات على الساحة الإسلامية خلافاً بلا أدب، واختلافاً بدون علم، وتكاثراً من غير مبرر، باتت تعدديات اليوم تنافساً على المغانم، وتنصلاً وهروباً من المغارم، وتهافتاً على الدعاية والأضواء وإقبالاً على الأخذ وإدباراً عن العطاء..

فكيف يمكن ـ والحالة هذه ـ أن تكون التعددية مقبولة بل كيف يمكن أن تكون ظاهرة صحية؟

فعندما يصبح التيار الواحد تيارات، والسيارة التي تسير على أربع، سيارات تسير كل واحدة منها على دولاب..

وعندما ينقسم التيار السلفي إلى معتدل ومتطرف، وينقسم المعتدل إلى تيارات متفاوتة الاعتدال والتطرف إلى نحو من ذلك كذلك..

وعندما ينقسم التيار الخلفي إلى متوسط في الاعتماد على العقل، أو مبالغ في امتهان النقل، وما بين هذا وذاك من مراتب ذات نسب متفاوتة في التوسط والمبالغة!

وعندما يصبح العمل الإسلامي تربوياً بلا سياسة، أو سياسياً بلا تربية، أو عسكرياً بلا ضوابط أو حدود، أو ما بين هذه وتلك من صيغ واجتهادات!!

وعندما يبرز على الساحة الإسلامية فريق متخصّص بتكفير المسلمين وإخراجهم من الملة، وآخر بمحاربة بدعة الموالد، والتسابيح في صلاة التراويح، وإتقان نطق حرف الضاد، وتعطيل العمل وانتظار المهدي!!.

عندما يحدث كل هذا وذاك، ويكون من نتيجته تفكك البُنية الإسلامية، ووصول الفتنة إلى المساجد، ركن المسلمين الأقوى والأخير، وينسى هؤلاء أن عدواً شرساً يتهددهم جميعاً ويتآمر عليهم جميعاً ويريد تصفيتهم جميعاً، وأنهم بتعدديتهم واختلافهم ييسرون عليه الأمر ويسهلون الطريق..

عندما يحدث هذا وأكثر من هذا تصبح التعددية على الساحة الإسلامية جريمة نكراء وظاهرة شنيعة وصفحة سوداء، وعامل هدم وتخريب. وصدق رسول الله ﷺ: «من فرق ليس منا، يد الله مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية».

وعندما يحدث هذا، وأبشع من هذا، كان من واجبنا أن نبحث عن السبب ونفتش عن الخلفية وندرس الظاهرة دراسة عملية وموضوعية وليس بعفوية أو عاطفية.. فالساحة الإسلامية باتت مهددة اليوم من داخلها وهذا هو الأخطر والله أعلم..

عصبيـة نكـراء:

وتتوالد عن ظاهرة التعددية آفات كثيرة وخطيرة. أبرزها آفة التعصب للتنظيم أو الحزب أو الجماعة أو الحركة وقد تتفاقم هذه الآفة فتعمي وتُصم! وبدل أن يكـون التعصب للحق والنزول عند حكم الشرع هـو الأساس، يحل محله التعصب للتنـظيم ولأشخاص التنـظيم ولسياسـة التنـظيم، وبدل أن تكون الدعوة للإسلام تصبح الدعوة للتنظيم ولو من غير إسلام وبدون التزام!.

إن ظاهرة التعصب لهذه الفئة أو تلك، بـدعة خـطيرة وانحراف مريع في التفكير والتصور والسلوك والتربية!!.

إن هذا لا يعني رفض الانتماء إلى التنظيمات والحركات، إنما المطلوب أن يكون الانتماء للإسلام قبل التنظيمات، وأن يكـون الـولاء لله قبـل الأشخـاص، وأن يكـون الالـتزام بشرع الله قبل الالتزام بالنظم والدساتير الإدارية.

إن من واجب العـاملين للإسـلام أن يكونـوا مسلمين أولاً.. فإن كانوا كذلك بحق كانـوا إخوة ومتحـابين عـلى اختلاف مناهجهم وتصوراتهم للعمل الإسـلامي.. أما إن سبـق هـذا ذاك، وطـغـى الحس الـفئـوي عـلى الحس الإسلامي.. وقوي الشعور الحزبي وضعف الشعور الإيماني، وقع الخلل، وتقطعت أوصال المسلمين، وتحقق فيهم قول الله

تعالى: ﴿ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، كل حزب بما لديهم فرحون﴾ [الروم: ٣٢].

العصبية الحزبية نقيض الإسلام:

والعصبية الحزبية نقيض الإسلام والإيمان، فالمسلم ينتمي في الأساس إلى أمته، ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾. والأخوة الإسلامية هي الآصرة التي تشد المسلمين جميعاً إلى بعضهم البعض ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ بل إن الإسلام يحض الناس كل الناس على التعارف والتآلف في إطار التنافس أو التسابق على الخير والهدى والتقوى ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣].

والتعصب والعصبية خصال يمقتها الإسلام ويبغضها رسول الله ﷺ.. فالقرآن دعا إلى التجرد والانعتاق من أسر كل العصبيات - العائلية والعشائرية والفئوية - فقال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [التوبة: ٢٤]. وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ [التوبة: ٢٣].

ورسـول الله ﷺ حذر من التعصب والعصبيـة فقـال: «ليس منـا من قاتـل على عصبيـة وليس منا من مـات على عصبية» رواه أبو داود وقال ﷺ: «دعوها فإنها منتنة».

العصبيـة نقيـض الوحـدة:

والعصبية نقيض الوحـدة لأنها تمزق الساحة الإسلامية، وتقيم السدود بين المسلمين. فهل يتفق هذا مع قوله تعالى: ﴿واذكروا إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهل يتفق هذا مع قوله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسدبالسهر والحمى» رواه البخاري ومسلم.

وقـوله: «المؤمن للمؤمن كـالبنيان يشـد بعضه بعضـاً» رواه البخاري ومسلم..

وهل يتفق هذا مع قوله ﷺ: «لا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تحادسوا وكونوا عباد الله أخوانـاً» رواه مالـك والبخاري وغيرهما. وقوله: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه البخاري ومسلم.

ب ـ ظاهرة إجهاض الساحة الإسلامية من خلال ابتعاث الخلافات المذهبية والتركيز على قضايا جزئية وبسيطة إذا وضعت ضمن سلم الأولويات:

فبين الحين والآخر تطفو على الساحة الإسلامية ظواهر غير طبيعية ومحدثة. وقد تختفي وراءها وتحركها قوى وجهات مشبوهة أقل ما يقال فيها أنها تهدف إلى إشغال المسلمين عن قضاياهم الرئيسة. اشتغالهم بصراعات داخلية من شأنها إضعافهم وشرذمتهم والهاؤهم عما يحضر لهم من مؤامرات ومكائد على أكثر من صعيد...

ومن الملفت أن هذه الظواهر تلبس في كثير من الأحيان إن لم يكن في غالب الأحيان ثوب (العلمية والشرعية) وهي في الحقيقة أبعد ما تكون عن العلمية والشرعية!.

هذه الظواهر تطفو اليوم على الساحة الإسلامية في لبنان في وقت تتسارع فيه الاستحقاقات وتتحرك القوى المعادية للإسلام في الداخل والخارج في تناسق وإيقاع مع الصهيونية العالمية وربيبتها إسرائيل لجر المنطقة إلى مشاريع مشبوهة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب الشديد.. وفي وقت يفترض أن يتلاحم فيه المسلمون أفراداً وجماعات لمواجهة المؤامرة التي تستهدفهم جميعاً. في حين أن ما يجري هو خلاف ذلك تماماً، مما يؤكد وجود مؤامرة على الساحة الإسلامية

لضربها من الداخل بعد الفشل في ضربها من الخارج، وبعد أن أصبحت الصحوة الإسلامية تقض مضاجع أعداء الإسلام في كل مكان..

من هذه الظواهر، ظاهرة الأسلوب المبتدع في محاربة البدع، إذ هي البدعة في ذاتها، لأن ما تحدثه في جسم الأمة من تمزيق وما تلحقه من إيذاء وتشويه يفوق خطورة حدود البدع التي تدعي أنها قامت لمحاربتها..

فهي في مواجهة الشبهة تقع في الحرام. وفي إنكار منكر تقع فيما هو أشد منه إنكاراً. متجاوزة قاعدة (دع الخير الذي عليه الشر يربو) وقاعدة (درء المفاسد يقدم على جلب المنافع).

١ ـ ماذا يريد هؤلاء؟:

يريد هؤلاء تعطيل كل الأسباب والمناخات والمناسبات التي يمكن أن يسخرها المسلمون اليوم ليتعلموا إسلامهم وليتفقهوا في دينهم، وليعوا قضاياهم المصيرية في ضوء الإسلام بحجة أنها بدعة، وأن رسول الله ﷺ لم يفعلها. وكأن المراد تجريد الإسلام من واقعية الطرح، وإبعاده عن ملامسة الأحداث ليبقى معزولاً عن قيادة الأمة وتوجيه الجماهير.

* فإذا أقيم احتفال بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج، يُذكّر المسلمين بسيرة نبيهم ﷺ، ويقص عليهم الحادثة وما

فيها من دورس وعظات كما ورد في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ومن خلال الأحاديث الصحيحة، ثم يربط ذلك بالواقع القائم في فلسطين حيث تنتهك أرض الإسراء والمعراج من قبل إسرائيل والصهيونية العالمية، وواجب المسلمين تجاه البلد الإسلامي الذي احتل والشعب المسلم الذي قهر، قالوا: إن هذه الاحتفالات بدعة!.

* وإذا أقيم احتفال بذكرى غزوة بدر أو فتح مكة أو معركة عين جالوت أو القادسية أو غيرها، لتبيان عوامل النصر في هذه الغزوات والمعارك، وللتأكيد على حاجة المسلمين اليوم إلى هذه العوامل في معاركهم مع أعداء الإسلام في كل مكان، قالوا: إن ذلك بدعة!.

والغريب أن هؤلاء جهلوا أو تجاهلوا ونسوا أو تناسوا أن القرآن الكريم ذخر باستعراض أحداث التاريخ وقصص الأنبياء والمرسلين وعبر الأولين والسابقين. بل إن القرآن الكريم ليشير إلى أهمية ذلك بكل وضوح حيث يقول: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ [يوسف: ١١١] ويقول: ﴿وكُلًّا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ [هود: ١٢٠]، ويقول الله تعالى: ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ [الأعراف: ١٧٦].

والغريب في هؤلاء كذلك أنهم غفلوا أو تغافلوا عن

النهج النبوي في الاستفادة من المناسبات والمواسم لعرض الإسلام وتبليغ الدعوة. قال ابن إسحاق: (فكان رسول الله ﷺ على ذلك من أمره، كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله وإلى الإسلام)، فأين البدعة في اغتنام فرصة ما أو استفادة من موسم ما أو مناسبة ما لعرض رسالة الإسلام على الناس صافية نقية كما جاء بها رسول الأنام محمد بن عبدالله ﷺ؟ ودون أن يعتبر ذلك أصلاً في الدين..

* وإذا سبح المسلمون بين ركعات التراويح في رمضان ـ دون أن يعتبروا ذلك أصلاً في الدين، وإنما استزادة من النوافل حض عليها الباري عز وجل في الحديث القدسي حيث يقول: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..) الحديث قال هؤلاء: إن ذلك بدعة، مع أن الحنفية قالوا: هذا الجلوس مندوب، ويكون بقدر الأربع ركعات. وللمصلي في هذا الجلوس أن يشتغل بذكر أو تهليل أو يسكت.

* وإذا لهجت ألسنة المسلمين بذكر الله في المسجد بصوت مسموع ـ دون مواظبة منهم على ذلك، أو اعتبار أنه من تمام الصلاة وأصل في الدين ـ أنكروا عليهم ذلك ورفعوا الأصوات في المساجد لتعطيل ذكر الله ولو بإحداث فتنة، علماً

بأن ارتفاع الأصوات في المساجد من علائم الساعة، والفتنة أشد من القتل!.

ورسول الله ﷺ حين لفت الصحابة الكرام إلى ضرورة خفض الصوت في التكبير - وكانوا يومها في سفر - لم يقل إن ذلك بدعة، وإنما لفتهم إلى حقيقة يجب أن لا تغيب عنهم فقال: «يا أيها الناس، أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تنادون أصماً ولا غائباً» رواه البخاري، وأربعوا هنا: أي كفوا وأرفقوا بأنفسكم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (واتفق المسلمون على أن الصلاة على النبي والدعاء كله سراً أفضل) مختصر الفتاوي المصرية.

* وإذا ختم مجلس بدعاء جماعي قالوا: إن ذلك بدعة، بالرغم من ورود أحاديث كثيرة وروايات متعددة عن رسول الله ﷺ تؤكد على التزام الدعاء في نهاية كل مجلس، من ذلك ما رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قلّما كان رسول الله يقوم من مجلس حتى ندعو بهؤلاء الدعوات: (اللهم أقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا. واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من

ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا. ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا) قال الترمذي: حديث حسن.

* وإذا جلس شباب في مسجد يتناوبون على قراءة القرآن بحضور من يضبط قراءتهم قالوا: إن ذلك بدعة، بالرغم مما ورد من آثار في الحض على قراءة القرآن. والحديث الصحيح: (ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال: أراكم ههنا وميراث رسول الله يقسم في المسجد. فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق، فلم يروا ميراثاً، فقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد، فقال: فماذا رأيتم؟ قالوا: رأينا أقواماً يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن، قال: فذلك ميراث رسول الله ﷺ.

٢ ــ ليس الخلاف في كون البدعة ضلالة:

فالبدعة في الدين محدثة وضلالة لا خلاف في ذلك. ولقد حذر رسول الله ﷺ منها في أحاديث كثيرة، منها: ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة، بسند صحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع

والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً. فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة».

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» رواه الطبراني وإسناده حسن.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: (إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيقه. إن الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات. وإنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمت فتابعوني. وإن زغت فقوموني).

وجاء عن ابن مسعود قوله: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

وقال ابن عباس لمن سأله الوصية: (عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: (كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة).

فالابتداع في الدين مضاهاة للشارع واجتراء على الله.

واتهام غير مباشر بنقصان الشريعة. ورحم الله الإمام مالكاً حيث يقول: (من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمداً ﷺ قد خان الرسالة، لأن الله يقول: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[المائدة: ٣].

٣ ـ إنما الخلاف في تعيين البدعة:

قال الشافعي رحمه الله: المحدثات ضربان: ما أحدث يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه بدعة الضلالة. وما أحدث من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهذه محدثة غير مذمومة. (انظر رسائل الإصلاح ٣/٨١، وفتح الباري ١٣/٢٥٣، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبدالسلام ٢/٢٠٤، والنهاية لابن الأثير ١/١٠٦).

وقد قسم (العز بن عبدالسلام) رحمه الله بناء على هذا التعريف البدعة إلى خمسة أقسام حيث قال: البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ. وهي تنقسم إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. والطريق في معرفة ذلك، أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، كوضع علم النحو حيث يفهم به كلام الله وكلام رسول الله ﷺ، وذلك واجب لحفظ الشريعة. وما لا يتم

الواجب إلا به فهو واجب. وإن دخلت في غير ذلك فهي بحسب ما دخلت فيه من الكراهة أو الإباحة أو التحريم أو الندب، والله أعلم. . ولقد سار على هذا التعريف ابن الأثير رحمه الله. (انظر قواعد الأحكام ٢/٢٠٤، والنهاية في غريب الحديث ١/١٠٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ما سمي بدعة وثبت حسنه بأدلة الشرع فأحد الأمرين فيه لازم: إما أن يقال ليس ببدعة في الدين، وإن كان يسمى بدعة من حيث اللغة، كما قال عمر (نعمت البدعة هذه) عندما جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح، وإما أن يقال هذا عام خصت منه هذه الصورة لمعارض راجح، فيبقى فيما عداها على مقتضى العموم كسائر عمومات الكتاب والسنة) (انظر مجموع الفتاوي ١٠/٣٧٠).

الخلاصة:

من خلال ما تقدم، لزم ابتداء وقبل الحكم ببدعية أي أمر دراسته وتمحيصه ومقابلته على الشرع، لمعرفة ما إذا كان له أصل في الدين أم لا. فإن كان له أصل يدل عليه فهو ليس ببدعة، وإن غير ذلك فهو بدعة وضلالة.

فاجتماع المسلمين في المناسبات الدينية المختلفة حين يكون اجتماع استذكار للدين وتعلم للإسلام واستخلاص

للدروس والعبر- من غير حكم بوجوبها ووجوب الدوام عليها - ومن غير أن تتخلل المناسبة ما يعتبر خروجاً على الشرع وإحداثاً في الدين، كأن تقرأ في هذه المناسبات صيغ محددة معينة (كمولد العروس مثلاً) في مناسبة المولد أو إتيان المنكرات، وإيقاد الشموع، وضرب الطبول والشيش، واختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك من المحرمات، والمبالغة والغلو في إطراء رسول الله ﷺ ووصفه بصفات هي من صفات الله تعالى، فإن ذلك لا يعتبر بدعة والله أعلم.

وفي النهاية، المطلوب - وبخاصة من الشباب - دراسة الدين والإسلام قبل التجرؤ على الفتوى وإصدار الأحكام.

ج ـ ظاهرة ابتعاث الفكر (الاعتزالي) لتدمير العقيدة الإسلامية من خلال مدخلين خطيرين وكبيرين: التأويل والتكفير:

وفي الوقت الذي يتوجب فيه إعداد الشباب المسلم ليكون حصن الساحة الإسلامية ودرعها وعامل وحدتها وتلاحمها، والذي يتمثل بأسه على أعدائها لا عليها، نجد أن الأثر كان على عكس ما هو متوقع ومنتظر. وبدل أن يكون الإعداد في الاتجاه الصحيح، كان في اتجاه معاكس تماماً، حيث نتج عن ذلك:

ـ نشوء جيل من الشباب اليافع شُغل بتكفير المسلمين، علمائهم قبل عامتهم.

ـ كما شغل بفتنة التأويل التي فتحت باباً للشيطان يصعب إغلاقه..

كل ذلك من خلال أسلوب عدواني متطرف، جعل الساحة الإسلامية ساحة حرب وصراع، بكل ما في هذه الكلمات من معنى، حيث كان يصل الأمر إلى حد الاقتتال الدموي المسلح والعياذ بالله تعالى. ولقد زاد الطين بلة والأمر خطورة أن أصبحت المساجد حلبة هذا الصراع والقتال.

والغريب الذي يدعو إلى التفكير والتأمل أن هؤلاء لم يفكروا يوماً بالتصدي للشيوعية وإلحادها، أو العلمانية وضلالتها، أو الصهيونية ومؤامرتها، وإنما كان التصدي دائماً وباستمرار للعاملين على الساحة الإسلامية علماء وهيئات وحركات وجماعات!.

* مخالفة صريحة للشرع:

هذه الظاهرة القاصمة لعُرى الوحدة والأخوّة بين المسلمين، تخالف منهج النبوة وأحكام الشريعة وتعاليم الإسلام جملة وتفصيلاً، لأنها تغري العداوة والبغضاء بينهم، وتفت في عضدهم، وتكسر شوكتهم، وتُسقط هيبتهم،

وتسهّل على العدو ضربهم واستئصالهم . . وهذا كله يخالف صريح قول الله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران : ١٠٥] وقوله : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال : ٤٦] وقوله تعالى : ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح : ٢٩] .

كما إنه يخالف صريح أقوال ووصايا سيدنا رسول الله ﷺ ، من ذلك قوله : «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخاري . وقوله : «من حمل علينا السلاح فليس منا» رواه البخاري ومسلم . وقوله : «ليس المؤمن بطعّان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء» رواه الترمذي . وقوله : «لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك» رواه البخاري .

ومما ذكره الإمام النووي في هذا الباب قوله : (واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يُكفَّر أحدٌ من أهل القبلة بذنب ، ولا يكفر أهل الأهواء والبدع . وأن من جحد ما يُعلم من دين الإسلام بالضرورة حُكم بردته وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه) شرح مسلم .

* جرأة متناهية على الفتيا:

ومما يساعد على بروز وتنامي هذه الظواهر ابتداء، هو الجرأة على الفتيا وإصدار الأحكام حتى في أخطر القضايا وأهم الأمور، ومن قبل شباب محدود العلم، محدود الاطّلاع، لا يتوفر لديه شرط واحد من شروط الاجتهاد.

ولقد كان السلف الصالح ومن أوتوا نصيباً واسعاً من العلم والفقه يتهيبون من إصدار الأحكام والفتاوى خوفاً من أن يترتب على ذلك مسؤوليات شرعية.

فأين هؤلاء من القول المأثور: (اجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار)؟ وأين هم من أولئك الذين كانوا يُسألون فلا يجيبون أو يحيلون السؤال إلى غيرهم تهيباً وورعاً؟ حتى قال عتبة بن مسلم: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً فكان كثيراً ما يُسأل فيقول: لا أدري. وقال ابن القاسم: سمعت مالكاً يقول: إني لأفكّر في مسألة منذ بضعة عشرة سنة، فما اتفق لي فيها رأي إلى الآن.

ومما كان يقوله أهل العلم من السلف الصالح معيبين على المتسرعين في الاجتهاد والفتيا: (إن أحدهم يُفتي في المسألة لو عُرضت على عمر لجَمَع لها أهل بدر).

* التأويل مدخل شيطاني:

والتأويل من الطروحات التي تعتبر مدخلاً شيطانياً لتدمير العقيدة وبخاصة إذا طُرحت في الوسط الشبابي المراهق الذي لا يملك قوة النظر في أدلة الأحكام الشرعية، ولم يؤت نصيباً من العلم يستطيع أن يميّز به بين الهدى والضلال والخير والشر.

إنه يكفي التأويل انحرافاً وإسفافاً أن القرآن الكريم ندد بالقائلين به أبشع تنديد حيث قال: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران: ٧].

والتأويل من العقائد الفاسدة الضالة التي أُدخلت على الإسلام في جملة ما أدخل عليه من فلسفات وثقافات ومناهج تفكير بقصد تدمير عقيدته واشتغال المسلمين بالمنطق وعلم الكلام ومتاهات تأويل آيات القرآن الكريم، وبخاصة آيات الصفات، مما يعتبر اجتراء على الله، وتجسيماً مقنعاً بالتنزيه ليس إلا، وبالتالي إخضاع أصول الدين لأحكام العقل كما قرر لهم أستاذهم ابن سينا في رسالة (الأضحوية).

ثم إن التأويل اتهام ـ غير مباشر ـ بنقصان الدين وضبابيته وعدم وضوحه. فهل يتفق هذا أو بعضه مع صريح قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ وقوله: ﴿وكل شيء فصلناه

تفصيلاً﴾ [الإسراء: ١٢] وقوله: ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ [الإسراء: ٩].

والمؤولة بتأويلاتهم هذه، كأنهم يَدَّعُون أنهم أعلم بالله من الله ورسوله، وأنهم أبر بالمؤمنين وأشد حرصاً على هداهم من رسول الله ﷺ، لأن ما جاءوا به من تأويل لم يجر قط على لسانه، وهو الذي بين الحق المراد من صفات الله، بما رواه عنه الأئمة العدول الثقاة، والذي تركنا فيه على المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك..

* مثل من باطل التأويل:

يزعم هؤلاء بالتأويل الباطل: أن ﴿استوى﴾ في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ معناها (استولى). والاستيلاء لا يتحقق معناه إلا عند المنع من الشيء ثم الظفر به. وإذا أخذنا بتأويل هؤلاء نفهم أن العرش كان مع غير الله ثم غالبه الإله حتى انتزعه منه (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) كما يفيد وجود إله غير الله كان العرش معه!.

فأين هؤلاء من أقوال الأئمة جميعاً؟ ولماذا يخالفون ما أجمع عليه السلف الصالح؟ ولماذا يثيرون هذه الشبهات ويشيعون هذه الضلالات في عصر انعدمت فيه هذه الإشكالات بين المسلمين، وبخاصة عامتهم الذين لم يسمعوا بها أساساً؟ فلماذا تصطنع المشكلات وتسمم الأجواء.. إن هذا السؤال بل

الأسئلة مطروحة - برسم - المسلمين جميعاً وعلى كافة المستويات والصعد!!.

إن من يراجع أقوال الأئمة الأربعة في قضية (الاستواء). يرى أنهم مجمعون على: إن الاستواء معلوم كما جاء في القرآن، والكيف مرفوع، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة وزندقة.. فعن ابن وهب قال: كنت عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبدالله ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرمضاء (أي العرق) ثم رفع رأسه فقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه.

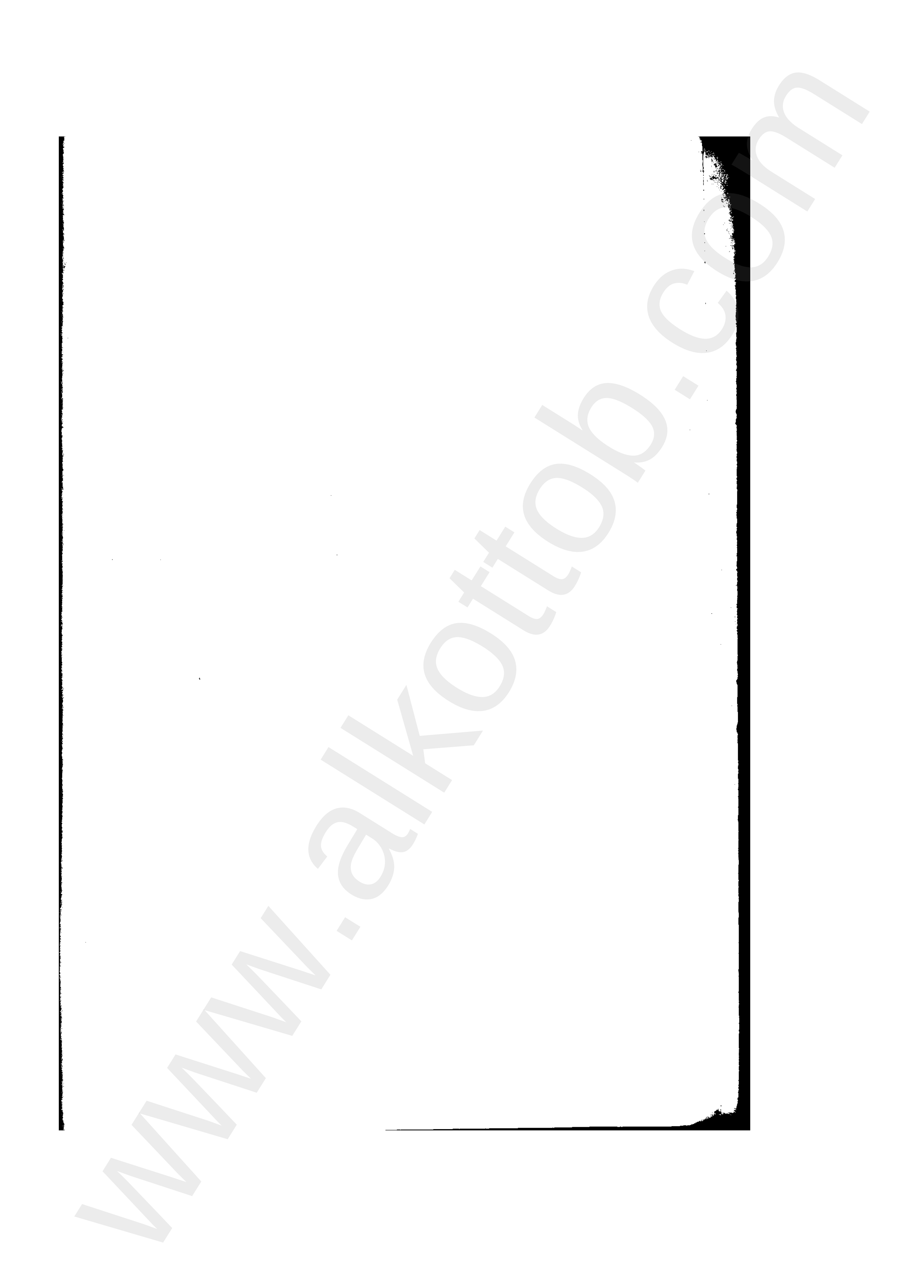
* **التكفير اجتراء خطير؟:**

أما قضية الجرأة على تكفير المسلمين أئمتهم وعامتهم فبالغة الخطورة لأن من شأنها تلغيم الساحة الإسلامية وهز الثقة بعلماء المسلمين بما من شأنه نسف المرجعيات الإسلامية التي يتلقى المسلمون عنها، كما من شأنه التشكيك بتراث السلف الصالح جملة وتفصيلاً، لتصبح الأمة من غير تراث أو تاريخ وفي مهب الرياح العاتية والعياذ بالله تعالى.

ولقد بلغت الجرأة في النيل ممن يخالفونهم فيما يذهبون إليه من معتقدات وضلالات درجة الاعتقاد بجواز إهدار

دمائهم وجواز قتلهم على اعتبار أنهم كفار مرتدون خارجون من الملة (التي عليها هؤلاء) وإن كان فيهم علماء أجلاء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. ولو أنه كان حياً لحكم عليه هؤلاء بالإعدام، ولقتلوه وهم يظنون أنهم يتقربون بذلك إلى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله؟.

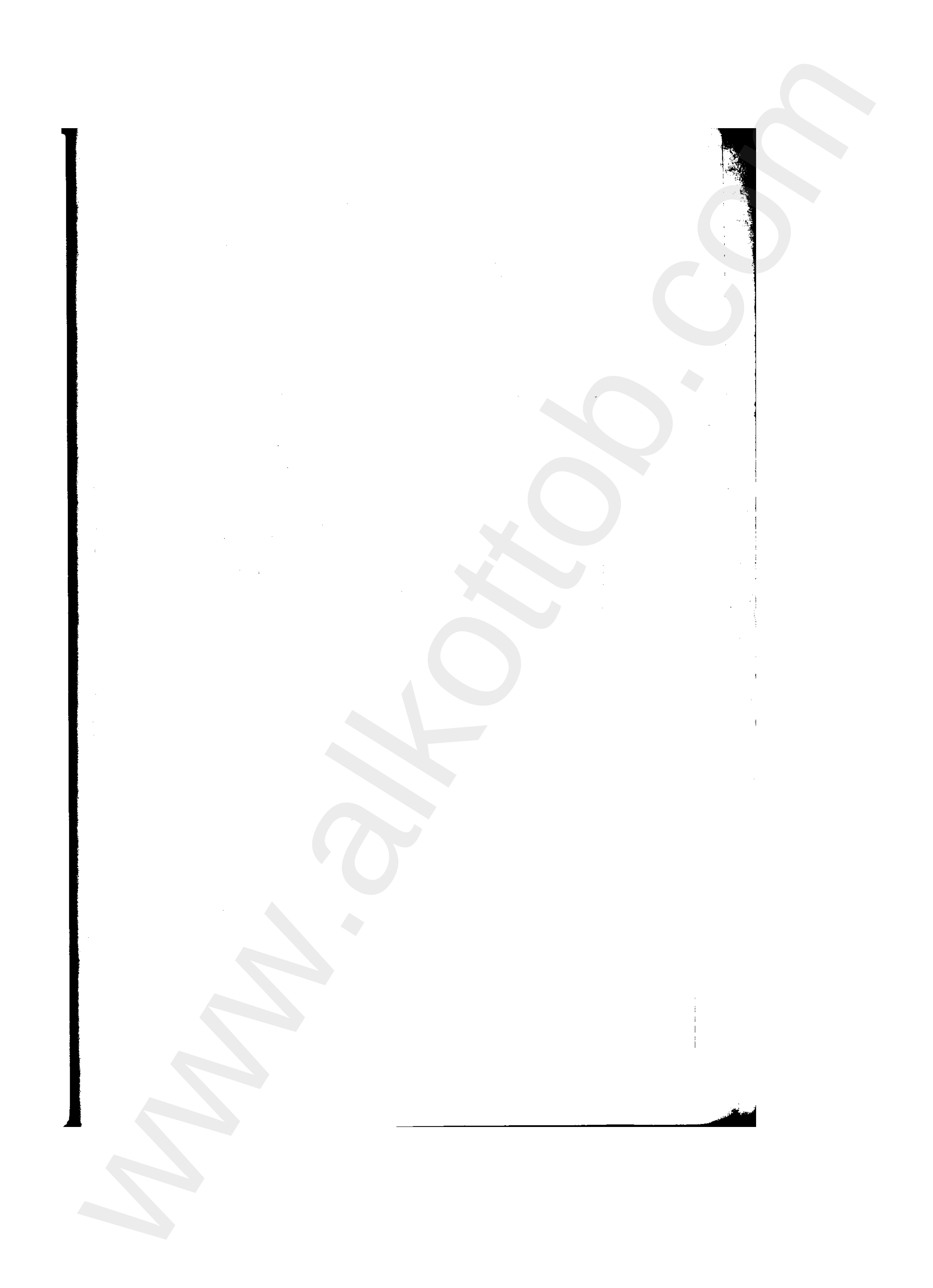
ولا أجدني بحاجة إلى تقديم الشواهد على ضلالة التكفير لأن كتب الحديث وأقوال الأئمة لم تترك زيادة لمستزيد، ولم يشذ عن إجماع هؤلاء واحد من أهل السنة والجماعة، والله المستعان على ما يصفون.



الفصل الثالث

ظاهرة التمزق على الساحة الإسلامية

١ ـ جماهيرية العمل.
٢ ـ الاهتمام بالشعار.
٣ ـ الاهتمام بالكم.
٤ ـ غلبة الاهتمام العسكري.
٥ ـ علانية كل شيء.
٦ ـ انعدام الوعي السياسي.
٧ ـ اختصار الزمن.
٨ ـ ضعف المستوى التربوي.
٩ ـ الغيبة والنميمة.
١٠ ـ اهتزاز الثقة بالقيادة.
١١ ـ نشوء مراكز قوى داخلية.
١٢ ـ الفشل والهزائم.



إذا كانت الساحة اللبنانية قد شهدت ظواهر تفسخ وانقسام وانهيار، فإن الساحة الإسلامية قد لحقها كذلك نصيب من (مرض الإيدز الحركي).

ففي تاريخنا القريب المعاصر تجارب غنية بدروسها وعظاتها دفعت الساحة الإسلامية ثمنها باهظاً، مما يفرض الاستفادة منها على أوسع نطاق حتى لا تتكرر مرة أخرى..

وإذا كان ما يهمنا ويخصنا في هذا المقام هو التعرف على الأسباب التي أدت إلى التمزق، فيمكن تلخيص ذلك من خلال ما يلي:

١ ـ جماهيرية العمل:

اعتمدت هذه الفئات في دعوتها للإسلام النمط الجماهيري، وصولاً إلى خلق تيار إسلامي عام، وبتعبير خاص (نقل الإسلام من الحالة التنظيمية وجعله حالة شعبية)..

ولقد كان هذا المنحى قاسماً مشتركاً بينها جميعاً، حيث كانت هذه الفئات تأخذ على (الحركة الإسلامية) تشبثها بالعُقد والقيود التنظيمية وتمحور العمل في إطار التنظيم. علماً بأن هذه الفئات تحولت بعد فترة قصيرة من قيامها إلى صيغة تنظيمية وبُنية حزبية جديدة.

والحقيقة أن اعتماد السياسة الجماهيرية منذ اللحظة الأولى لنشأة هذه الفئات لم يترك لها مجالاً لتكوين بنيتها التنظيمية وأجهزتها العاملة القادرة على ضبط وتوجيه الشرائح الشعبية الملتحقة بها.. والعمل الجماهيري يمكن أن يكون ناجحاً إذا أمكن ضبطه وترشيده واستيعابه..

ولقد تسبب العمل الجماهيري ـ لدى هذه الفئات ـ إلى ولوج عناصر شتى إلى صفها، بل إلى مواقع مهمة وخطيرة فيها..

ـ من هؤلاء من ليس لديه أدنى فهم للإسلام، حتى ما ينبغي أن يعرف من الدين بالضرورة.

ـ ومنهم من دخل الساحة لغاية في نفسه، مادية أو سياسية أو أمنية إلخ..

ـ ومنهم من كان عيناً عليها يرصد تحركاتها ويستطلع أسرارها ويسبر أغوارها.. وهكذا أصبح جمهور الساحة

الإسلامية في فترة من الفترات، خليطاً متناقضاً متفاوتاً في ولائه للإسلام وللحركة، مما جعل (الجماهيرية) عبئاً على الحركة وعامل إيذاء يومي لها ولسمعتها. .

٢ ـ الاهتمام بالشعار:

إن النمط الجماهيري في العمل يعتمد عادة على الشعار أكثر من المضمون، وذلك لسهولة نقله وتداوله. . والحركات التي لا تتمكن من تحويل الشعار إلى مضمون، وترجمة الشكل إلى محتوى تفقد قيمتها وفاعليتها، وتكون بالتالي أعجز عن تحقيق أهدافها الكبرى والبعيدة. . .

والإسلام ركز اهتمامه على المضمون والمحتوى من غير إغفال للشعار والشكل، وكما أنه حرص على تحقيق نصاعة ونظافة المظهر والجوهر إلا أنه اختص الجوهر باهتمام أكبر. . . فمن قوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم، وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم. .﴾ [المنافقون: ٤] ومن قول الرسول الأعظم ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم».

والفئات الإسلامية هذه، أولت الشعار الاهتمام الأكبر، ولم تتمكن من ترجمة الشعار إلى فعل عمل يومي يراه الناس ويلمسونه. . بل كان العمل في كثير من الأحيان مخالفاً

للشعار متعارضاً مع المظهر.. وكان هذا من أشد عوامل الهدم في جسم الحركة..

إن مئات الرايات الإسلامية والشعارات الإسلامية والملصقات الإسلامية ليست هي السبيل لتحقيق التغيير الإسلامي وإقامة حكم الله في الأرض، ما لم يتم ترجمة مضمون هذه الرايات والشعارات والملصقات في واقع حياة الناس وأخلاقهم وقوانينهم..

٣ ـ الاهتمام بالكم:

ومن الأمراض الفتاكة التي تصيب الحركات عموماً ـ والتي أصابت هذه الفئات ـ انشغالها بالكم عن الكيف، وانصرافها إلى توسعة رقعة انتشارها بدل تركيز هذا الانتشار وتأصيله وتجذيره..

والإسلام على عكس هذا تماماً، فقد اهتم بالنوع لا بالعدد، وشغل باستنهاض القيم في الإنسان والإرتقاء به في مدارج الكمال البشري، ولم يكن همه يوماً تكديس الأفراد للوصول إلى رقم أكبر!!.

ويوم بدر انتصرت النوعية الجيدة على قلتها، بينما انهزمت الكثرة في حنين حيث خالطها شيء من رياء، ليتأكد من ذلك، أن النصر للمؤمنين ولو كانوا قلة، وأن وراثة الأرض

لعباد الله الصالحين: ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

ولم يكن الكم يوماً إلا عبئاً على الحركة الإسلامية، لأن الكم مرتبط دوماً بمتاع الحياة الدنيا حيث جاء وصفه في قول الله تعالى: ﴿**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب..**﴾ [آل عمران: ١٤].

ومن هنا يمكن أن نفهم سر انتقاء الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، للقادة الأربعة الذين أرسلهم لمساندة عمرو بن العاص يوم فتح مصر، حيث كتب له قائلاً: (إني أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألفِ رجلٍ، رجلٌ منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلّد. واعلم أن معك اثني عشر ألفاً، ولا تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة)..

٤ ـ غلبة الاهتمام العسكري:

ومن الظواهر التي اتسمت بها هذه الفئات غلبة الاهتمام العسكري لديها على أي اهتمام آخر...

وهذا ما دفع بالشباب اليافع والمراهق ـ الذي يهوى حمل السلاح ـ إلى الالتحاق بالساحة الإسلامية.. بل هذا ما أغرى حملة السلاح وتجاره من قبضايات الأحياء وأصحاب السوابق والمنافع المختلفة بركوب الموجة والاحتماء بغطائها والضرب بسيفها..

والحقيقة أن القوة العسكرية سلاح ذو حدين، إن لم يُضبط ويَحْسُن استعماله، كان وبالاً على أصحابه، وبخاصة إن كان هذا السلاح بيد غير أمينة، ومع أُناس لا يخافون الله ولا يتقونه..

لقد تسببت هذه الظاهرة بممارسات شاذة على الساحة الإسلامية، حيث استخدمت القوة العسكرية في الاعتداء على أموال الناس وممتلكاتهم، ووظفت في سبيل تحقيق المصالح والمنافع الشخصية.. فكم من بيوت أُخليت بقوة السلاح.. وكم من عقارات اشتريت ـ بأثمان بخسة ـ بقوة السلاح.. وكم من (خوّات) فرضت على الأفراد والمؤسسات بقوة السلاح.. وكم من كرامات ديست ومقامات أهينت بقوة السلاح!!.

ثم إن امتلاك القوة العسكرية قبل امتلاك القوة الإيمانية، والكفاءة الخلقية، والوعي السياسي، والانضباط التنظيمي، مدخل نفسي إلى كل الآفات النفسية، كالعجب

والغرور والاستعلاء، وهي من الصفات التي يجب أن ينأى الإنسان العادي عنها، فكيف بمن نصب نفسه داعية للإسلام وعاملاً على ساحته!!.

والحركة التي تسكرها مظاهر القـوة، وتخدعهـا الأعداد الكبيرة من المؤيدين، تندفع بغير وعي إلى امتلاك السـاحة والتحكم فيهـا، وإخلائهـا من كل قـوة أخرى ولـو كـانت إسلامية. ذلك أن الحركة ـ ذات النزعة العسكرية ـ تحرص على الانفراد بساحة العمل، وعلى تصفية كل المنافسين ولو كانوا حلفاء مرحلة أو أنصار قضية!.

من هنـا كان لا بـد للقوة العسكـرية من أن يحكمهـا الشرع، ويلجمها العقل وهو ما عبر عنه الإمام الشهيد حسن البنا في معرض كلامه عن موقع القوة في الحركة حيث قال:

(أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته... والإخوان المسلمون لا بد أن يكونوا أقوياء، ولا بد أن يعملوا في قوة.. ولكن الإخوان أعمق فكـراً وأبعد نـظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها، ولا يزنوا نتائجها وما يُقصد منها وما يراد بها. فهم يعلمون أن أول درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والإرتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسـلاح.. ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تـوفر لهـا هذه المعـاني

جميعاً. وأنها إذا استخدمت الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة، خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك...

هذه نظرة، ونظرة أخرى: هل أوصى الإسلام - والقوة شعاره - باستخدام القوة في كل الظروف والأحوال؟ أم حدد لذلك حدوداً، واشترط شروطاً، ووجه القوة توجيهاً محدوداً؟.

ونظرة ثالثة: هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكي؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة، وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟[1]).

٥ ـ علانية كل شيء:

ومن الأخطاء التي ارتكبت على الساحة الإسلامية العمل بعكس قاعدة (ليس كل ما يعلم يقال) بل بسياسة (التفكير بصوت عال) وبسياسة كشف كل المواقع والأهداف والخطوات القريبة والبعيدة، وهذا كله مخالف للنهج النبوي الذي كثيراً ما أكده الرسول ﷺ بقوله: «استعينوا على قضاء

(١) مجموعة الرسائل ص ١٣٤.

الحوائج بالكتمان» وقوله: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان..»[1] وفي القرآن الكريم إشارات كثيرة إلى هذه المعاني منها وصية يعقوب عليه السلام لبنيه: ﴿وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله شيئاً﴾[2] وهذه إشارة من نبي من أنبياء الله إلى ضرورة الأخذ بكل أسباب الحيطة والحذر وعدم كشف القوى والأشخاص.. والأمثل في كل الأحوال الالتزام بقاعدة (علانية العمل وسرية التنظيم) وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً﴾[3].

والحقيقة أن سياسة العمل في نقطة الضوء، أو بالعبارة الدارجة (على المكشوف) أدت إلى كشف وتعرية هذه الفئات، مما ساعد على رصدها ومعرفة تفصيلات تحركاتها واستكشاف رجالها وقياداتها وقواها جميعاً... فكل شيء أصبح على السطح وعبر وسائل الإعلام دون أدنى تحفظ.. وهذا بالنتيجة خطره كبير وشره مستطير. ولقد أكدت الأيام

---

(١) الطبراني والبيهقي.
(٢) سورة يوسف: آية ٦٧.
(٣) سورة النساء: آية ٧١.

والأحداث بعد ذلك صحة ذلك، ولكن بعد فوات الأوان وخراب البصرة.

٦ ـ انعدام الوعي السياسي:

قد يظن البعض أن الإيمان يُغني عن الأخذ بالأسباب، وعن الوعي السياسي، وعن التدبر والتبصر في الأمور. والحقيقة أن الإسلام يدفع ويحض على الأخذ بكامل الأسباب ومنها الوعي السياسي، واستكشاف الآفاق واستشفاف ظواهر الأمور وبواطنها.

والحركة التي لا تمتلك الأجهزة والقدرات اللازمة التي تعينها على عمق النظر في القضايا، وعلى بعد النظر في الأمور، من أجل استكشاف حقائق السياسيات والمواقف والمواقع والصراعات المحلية والإقليمية والدولية، ومعرفة موقع كل حدث مما يجري على هذه الساحات والمستويات جميعاً، هي حركة لن تكتب لها الحياة، ولن يحالفها التوفيق، ولن تكون في خير وعافية، خاصة وأننا في عصر غدت فيه مصالح الدول والنظم والأحزاب والمؤسسات والأشخاص متشابكة متداخلة، وعملية التفكيك والتحليل واستخلاص النتائج ليست بالأمر السهل وتحتاج إلى جهود وإمكانات جبارة وأجهزة متخصصة.

والحقيقة أن هذه الفئات لم يكن لديها الأفق السياسي،

والمرجعية الذاتية التي تعينها على تقصّي الحقائق، وتحديد التوجهات والسياسات السليمة الصحيحة، وهذا ما جعلها تقع في كثير من التناقضات في المقولات والمواقف والتصرفات. . .

وحسبي أن أتناول في هذه العجالة بعضاً من هذه السياسات التي إن دلت على شيء فإنما تدل على ضآلة في الوعي السياسي وعلى قصر نظر. .

أولاً: أعلنت هذه الفئات عداءها لكل الأنظمة والدول والتنظيمات والأحزاب دفعة واحدة وقبل أن تكون بنيتها وإمكاناتها قادرة على مواجهة ردود الفعل والتحدي من واحدة من هذه القوى، فكيف بها مجتمعة؟!.

ثانياً: شنت هجوماً على نظام معين تجلى ذلك في خطب وتصريحات وبيانات متعددة، ثم عادت بعد ذلك تهادن وتلاين بل وتمتدح وتُطري؟!.

ثالثاً: عارضت بقوة وعنف فكرة تولي الجيش للأمن، وقامت من بعد ذلك بعدد من التصرفات العنفية لمنع الجيش من النزول، ثم ما لبثت أن وافقت ورحبت.

رابعاً: تحالفت مع زعيم فلسطيني واشتركت معه في غرفة عمليات واحدة، ثم ما لبثت أن شنت عليه حرباً شعواء ووصفته بالخائن والعميل (كذا)!.

خامساً: أعلنت عن استعدادها لحل القضية اللبنانية، ولكن دون أن تقدم بين يدي ذلك أي مشروع بهذا الخصوص، إلا إذا استثنينا الطرح المبدئي للإسلام وأنه البديل القادر على حل مشاكل البشرية جمعاء..

سادساً: تصورت هذه الفئات أن إقامة الحكم الإسلامي أمر جد بسيط، وإن ذلك لا يحتاج لأكثر من قوة مسلحة وشعارات ورايات وأمراء يحكمون الشوارع، إضافةً إلى عدد من السجون والتعاونيات الإستهلاكية.. ولقد فاتها أن الحكم الإسلامي يجب أن يسبقه تغيير جذري للواقع الجاهلي، وأن يمهد له ويساعد عليه قيام بيئة قادرة على احتضان حركة التغيير الإسلامي، وعلى الدفاع عنها، وعلى إمدادها بكل متطلبات الصمود والاستمرار..

إن الحكم الإسلامي لا يمكن تحقيقه في مدينة مطوقة عسكرياً، محاصرة اقتصادياً، معزولة جغرافياً.. بل إن مجرد التفكير في إقامة حكم إسلامي في مدينة من المدن أو شارع من الشوارع ضرب من العبثية والسطحية.

٧ ـ اختصار الزمن:

ومن السمات البارزة في أساليب وطروحات هذه الفئات أنها كانت حريصة على اختصار الزمن في عملية التغيير

الإسلامي.. علماً بأن عامل الزمن له قيمته وأهميته في أية عملية تغييرية أو حتى خطوة تصحيحية.. فما يحتاج إلى عشر سنوات لا يمكن اجتزاؤه بسنة، وما يحتاج إلى مائة عام لا يجوز اختصاره بعشرة أعوام...

والتغيير الإسلامي - بصورة خاصة - ليس عملية تجميلية أو شكلية، وإنما هو استبدال واقع بواقع، بكل ما في هذا الواقع من مرتكزات عقائدية وفكرية وتشريعية وقانونية وخلقية وحضارية. وعملية كهذه ينتظر أن تقف كل قوى الجاهلية في العالم دون تحقيقها ونجاحها، يجب أن تأخذ مداها من الإعداد وحاجتها من الاستعداد..

وكل مطلع على المشاريع والسياسات التي يعتمدها أعداء الإسلام، من حركات صهيونية وصليبية وشيوعية، لتحقيق أهدافهم وغاياتهم، يلحظ مدى عناية هؤلاء بعامل الزمن، فيرون أن الهدف الذي قد يستحيل تحقيقه اليوم، يمكن أن يكون مستطاعاً بعد ذلك، وأن المشروع الذي يصعب الوصول إليه وإقامته اليوم، قد يسهل غداً، وذلك لاعتبارات كثيرة منها: توفر مزيد من الإعداد والتحضير، وتوقع مزيد من الظروف المناسبة، وامتلاك مزيد من المعطيات المساعدة..

والإمام البنا أشار إلى هذه الناحية في رسالة المؤتمر الخامس حيث قال: (أيها الأخوان وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم.. اسمعوها مني كلمة عالية مدوية: إن طريقكم هذا مرسومة خطواته، موضوعة حدوده، ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت بها كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول.. أجل، قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها..

إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب.. فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقطف زهرة قبل أوانها، فلست معه في ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات.. ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف، فأجره في ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين، إما النصر والسيادة إما الشهادة والسعادة..)[1].

٨ ـ ضعف المستوى التربوي:

ومن أسباب انهيار بعض الفئات الإسلامية ضعف المستوى التربوي، فهنالك خلل ما يجب أن يدفع لاستكشافه ومعالجته. فقد يكون من المنهج التربوي، وقد يكون من

---

(١) رسالة المؤتمر الخامس.

المربي، وقد يكون من الاثنين معاً. ونجاح التربية مرتهن بسلامة المنهج وصلاحية المربي معاً..

ثم إنه قد يتأتى ضعف المستوى التربوي من قصور في التخطيط أو خلل في خطط العمل، بحيث يتضخم جانب من جوانب العمل على الجوانب الأخرى. وقد يكون بسبب استنزاف الحركة في معارك جانبية لا طائل تحتها ولا فائدة منها، أو قد تستهلك كثيراً من طاقاتها في مشاريع لا تقع في الدرجة الأولى من حيث الأهمية والأولوية[1].

إن ضعف المستوى التربوي هو الخرق الذي يمكن أن تدلف منه كل العلل والأوبئة والمشكلات إلى جسم الحركة، وهو الذي يفتح الباب على مصراعيه أمام الفتن.

فهو المناخ المناسب للآفات المساعدة على حصول الهزات والانقسامات في حياة الأفراد والجماعات والحركات، كالغيبة والنميمة، وتتبع العورات، والنقد الهدام، والتشكيك والإرجاف، وعدم التماس الأعذار، وعدم التبين، والتعصب

---

(١) حبذا لو يتم وضع دراسات موضوعية لما آلت إليه أحوال بعض الحركات الإسلامية المعاصرة التي طغت عليها الاهتمامات والمشاغل السياسية والعسكرية فأصبحت أداة ضمن اللعبة السياسية العامة، للاستفادة من هذه التجارب، وحتى لا يُلدغ المسلمون من جحر عشرات المرات..

للرأي، والمكابرة والعناد، وطرح الخلافات في غير مواطن طرحها، وإنشاء المحاور وتحريكها، وتحويل الخلافات المبدئية إلى خلافات شخصية، إلى ما هنالك من آفات وعلل لا تبقي ولا تذر..

إن ضعف التربية يعني تدني مستوى التقوى والورع.. يعني ضعف قوامة الشريعة على السلوك والأعمال والأقوال والتصرفات عموماً، وهذا يؤدي بالنتيجة إلى السقوط في حبائل الشيطان وشرك الهوى ومضلات النفس الأمارة بالسوء، مما فيه هلكة الفرد والجماعة..

إن ضعف التقوى والورع مدخل إلى الترخص واستصغار الذنوب والتساهل مع النفس، مما يؤدي في النتيجة إلى ارتكاب الموبقات والكبائر تحت شعارات ومبررات وعناوين عريضة، كلها في الحقيقة من تلبيس إبليس. وهذا ما أشار إليه أنس رضي الله عنه حين قال: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات)[1].

٩ ـ احتراف النقد والغيبة والنميمة:

ومن عوامل الفتن التي تشق الصفوف، وتنقض الغزل، وتأتي على البنيان، احتراف النقد وامتهان الغيبة والنميمة،

---

(١) رواه البخاري.

وتتبع العورات، وتطاول الألسن، وشيوع ذلك وانتشاره واستساغته وعدم استرذاله، بحجة تصحيح الأوضاع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

هذا الداء العضال ابتليت به الحركات الإسلامية على امتداد الساحة محلياً وإقليمياً ودولياً، وكان من نتيجته في كل حين: إحباط النفوس، وتصدّع الصفوف، وفقدان الثقة، وانكشاف الضعف أمام العدو..

من هنا كان التحذير القرآني والنبوي من هذه الآفة قوياً وصارخاً. فقال تعالى: **﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أين ما ثُقفوا، أُخذوا وقتلوا تقتيلاً * سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾**[1].

وعن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، حدثني بأمر اعتصم به، قال: «قل ربي الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله: ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه ثم قال: «هذا»[2].

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٦٠ - ٦٣.

(٢) رواه الترمذي.

من الأمثلة القريبة المعاشة على ما تقدم: أن حركة من الحركات الإسلامية أصيبت بهزيمة ـ سياسية أو عسكرية ـ مما فتح الباب على مصراعيه أمام هذا القيل والقال. بدأ بالتلاوم على مستوى القيادة، ثم امتد إلى القاعدة حتى نخر بنيتها نخراً.

كان هؤلاء لا يتقون الله في أعراض إخوانهم.. يُشرِّحونهم كما يُشرح الطبيب الجثة، أو كما يقطع الجزار الدابة، من غير تحفظ في التعبير، أو أدب في الخلاف، أو موضوعية في النقد، أو تخير للأطر التي يجب أن تطرح فيها مقولاتهم ناسين قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾**[1] وناسين قول رسوله ﷺ وتحذيره: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت، فيكتب الله بها سخطه إلى يوم القيامة»[2].

فكانت النتيجة أن انشق الصف، وتصدع البنيان، وأصبح صف الحركة مرتعاً للشيطان، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك الديان..

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٠.

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي.

والإمام النووي رحمه الله خصص في كتابه (رياض الصالحين) بابا اسماه (باب من يباح من الغيبة) فقال:

(اعلم أن الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، وهو ستة أبواب:

الأول: التظلم - فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان أو غيره لانصافه.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب.

الثالث: الاستفتاء - لتحصيل الحق ودفع الظلم.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم.

الخامس: ذكر الفاسق بما فيه، بعد أن يكون مجاهراً بفسقه.

السادس: جواز تعريف الإنسان بلقب معروف به كالأعمش والأعرج والأحول، وإذا أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى)[1].

١٠ ــ اهتزاز الثقة بالقيادة:

ومن العوامل المساعدة على تصدع الحركات وحدوث الانشقاقات، اهتزاز الثقة بالقيادة، بما يجرح جدارتها

(١) نقل باختصار شديد عن المرجع المذكور.

وأهليتها، أو ينال من استقامتها ومصداقيتها لدى القاعدة.

وقد لا يترتب على هذا الأمر شيء خطير وشر مستطير لو أن هذه القيادة أخلت موقعها لغيرها، وانسحبت من تلقاء نفسها، إذن لسلم البنيان من الأذى والتصدع.

إلا أنه في بعض الأحيان يكون العكس هو الصحيح، فيتشبث القائد بمنصبه ويستغل موقعه أبشع استغلال.. فيقيم المحاور، ويحرك الصراعات ويديرها، ويحوّل مجاري الخلافات لينجو هو ولو هلكت الجماعة بكاملها، نعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم»[1].

وفي حالة أخرى، قد تكون القيادة فيها مظلومة، والخروج عليها محض افتئات وافتراء، وتعسف واجتراء. ومع كل ذلك فإنه يحسن بالقيادة أن تحيل القضية إلى جهة ثالثة لفصل الخطاب. فتكون بذلك في مأمن من اللوم والعتاب، وأبعد عن الشبهة والحساب.

إن القيادة كي تبقى في مأمن من سهام النقد والتجريح، وتبقى قيادة بالمعنى الصحيح، لا بد وأن تكون في منأى عن الشبهات، وبخاصة ما يتصل منها بالشؤون المالية. وعليها أن

---

(١) رواه أبو داود وابن حبان.

تكون الأزهد والأبعد عن كل ما يشتم منه رائحة النفعية.
وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «إزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[1].

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون[2] عليهم ويصلون عليكم. وشرار أئمتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم. قلنا: يا رسول الله: أفلا نُنابذهم؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة»[3].

١١ ـ نشوء مراكز قوى مختلفة:

ومما يتسبب بالشقاق والإنشقاق قيام مراكز قوى متعددة في الحركة، إضافة إلى ضعف في القيادة يحول بينها وبين ضبط النزاعات، وتحقيق التوازنات، ولجم النوازع والتطلعات، وحسم الخلافات والصراعات..

وأسباب نشوء مراكز القوى متعددة وكثيرة.. فقد يطغى الجانب السياسي ويتعاظم شأن القائمين به أشخاصاً وممارسات...

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره.
(٢) أي تدعون.
(٣) رواه مسلم.

وقد يطغى الجانب العسكري فيتولد في المسؤولين عنه شعور العجب والفوقية، كما حصل يوماً بالنسبة للجهاز الخاص في مصر، وتسبب بأسوأ المشكلات، حيث دفعت الحركة بنتيجة ذلك ثمناً باهظاً، وكان مدخلاً إلى محنة مريرة عاتية..

ومن الأسباب وجود عوامل الكبر والغرور في النفوس، أو حب العظمة وتسلق جدران الزعامة بأي ثمن. فإذا توافق ذلك مع ظرف من الظروف، قويت هذه العوامل ونمت وبلغت مرحلة اللاعودة، حيث يُصاب أصحابها بداء العتو والشموخ الذي أصيب به إبليس حين قال: **(أنا خير منه، خلقتني من نار، وخلقته من طين)**[1].

إن طاعة القيادة في الإسلام من طاعة الله ورسوله بحكم قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول، وأولي الأمر منكم﴾**[2] وبحكم قوله ﷺ: **«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني»**[3].

والطاعة هذه تلزم كل الأفراد على مختلف مواقعهم

---

(١) ص ٧٦.

(٢) سورة النساء: آية ٥٩.

(٣) متفق عليه.

ومراكزهم ـ ولو كانوا أعضاء في مجلس القيادة ـ حتى يكون مصدر الأمر واحداً، ومرجع الطاعة موحداً، وإلا تعددت القيادات ونشأت بالتالي مراكز القوى، واختل توازن كل شيء . .

وبديهي أن الطاعة المقصودة، هي الطاعة بالمعروف، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك»[1].

ويجوز أن تسحب البيعة من قيادة جاهرت بالكفر والفسوق، وانهارت الثقة بها، وبات ضررها أكبر من نفعها بإجماع الثقاة من أهل الحل والعقد ممن اختاروها وولوها. أما الخروج على القيادة، وتشكيل المحاور، وإيغار الصدور، والتحريض على الفتنة والأذى والعدوان، فإنه من مُضلات الهوى ونزغات الشيطان، وليس له في شرع الله دليل أو برهان . .

إن حدود اعتراض الأفراد على سياسة ما، أو موقف ما، يجب أن ينحصر في المجالات التالية:

أ ــ أن تكتنف مسألة ما بشبهة مما يعرضها للمفسدة، فإن على الأفراد في هذه الحالة واجب التبين والتنبيه ليس إلا.

---

(١) رواه مسلم.

ب ـ أن يُختلف على تقدير تحقق أو عدم تحقق مصلحة ما، فهذا وإن كان من حق القيادة فليس من ضير على الأفراد من التنبيه ولفت النظر.

ج ـ أما حق الأفراد في معصية القيادة وعدم طاعتها، فينحصر في حال معصيتها القطعية والثابتة لله، وعدم وجود أي مبرر شرعي لمواقفها وممارساتها، وقيام الحجة عليها في ذلك. فعن عبادة بن الصامت قال: دعانا النبي ﷺ، فبايعناه. فقال فيما أخذ علينا: «أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان»[1].

إن لتعميق معاني الطاعة مفاهيم شرعية يجب أن تربى القاعدة عليها. ومنها أن من حقوق القيادة المفاضلة بين السياسات الجائزة، واختيار ما يتناسب الظروف والمصلحة. فقد كان رسول الله ﷺ في موقف من الأسرى: يَمُنّ على بعضهم، ويقتل البعض الآخر، ويفادي بعضهم بالمال، وبعضهم بأسرى المسلمين، وقد فعل ذلك كله بحسب المصلحة[2].

---

(١) رواه البخاري.
(٢) زاد المعاد ٢/٢٦٦.

والقيادة لها الحق الشرعي في أن تحارب أو تهادن أو تحالف حسب المصلحة ومقتضى الضرورة، شرط أن يكون ذلك بعد تمحيص الآراء والاستشارة.

وللقيادة الخيرة في الأخذ بواحدة من هذه السياسات، واستحسان وتفضيل بعضها على بعض بحسب اجتهادها وتقديرها، كما أن على الأفراد أن يلتزموا اختيارات القيادة ولو كانت مخالفة لآرائهم وقناعاتهم، إلا أن يروا فيما اختارته القيادة وقررته خروجاً على الإسلام، وتعريضاً واضحاً بمصلحة المسلمين، وعندئذ يتعين عليهم مكاشفتها بالدليل الشرعي والحجة والبينة، وفي حدود آداب التواصي بالحق وأصول النقد المباح.

١٢ ـ فشل الحركة أو هزيمتها:

ومما يتسبب بالخلاف والشقاق، ويُفضي إلى الإنشقاق، فشل الحركة في قضية ذات أهمية، أو انهزامها في معركة، وبخاصة إذا تمحور السبب بالقيادة، وكانت أصابع الإتهام مشيرة إليها لوحدها. فهنا تتحرك في النفوس أهواؤها ويُبتعث ما دُفن وعفى عليه الدهر من سَقطات وأخطاء، وكأنها فرصة العمر وسانحة الدهر، يجب اهتبالها؟.

فتُنسى في تلك اللحظة المعاني الشرعية كلها.. فلا موضوعية ولا تثبت، وإنما هوى متحكم، ونفوس مشرئبة،

وفتنة هائجة يرتع فيها إبليس على هواه والعياذ بالله تعالى.

وفي غفلة من النفس، وانسياق مع الشيطان ينسى الأخ أخاه. ينسى «إن المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله»[1] وأن «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» [2].

ينسى كل ذلك ويتحول وحشاً كاسراً ينهش إخوانه دون مخافة من الله أو استحياء منه تعالى.. ألا قتل الإنسان ما أكفره..

في تاريخنا المعاصر تجربة مُرّة وقاسية، اسأل الله أن يَخرج أصحابُها من الفتنة التي وقعوا فيها قبل أن تمزقهم شر ممزق.. كان السبب المباشر لهذه الفتنة ما سبق وأشرنا إليه.. فقد وقعت بساحتهم هزيمة، دفعت الحركة ثمنها باهظاً من رجالها وشبابها. وكان التلاوم وتبادل الإتهام، وكان النقد والتجريح، ثم ارتفعت وتيرة ذلك إلى الحد الذي ولّد الغل والحقد، وكرس انشقاق الصف قاعدة وقيادة والعياذ بالله تعالى.

ولو أن هؤلاء جميعاً التزموا أدب الإسلام في الخلاف

---

(١) رواه الترمذي.
(٢) رواه مسلم.

لفضٌ لساعته. ولكنها النفس الأمارة بـالسوء. النفس التي تنسى في ساعة الغفلة وارتكاس الإيمان كل القيم والتوجيهات القرآنية والنبوية، وكأنه طبع عليها بالطابع الذي أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «الـطابع[1] معلق بقائمة عرش الله عز وجل. فإذا انتهكت الحـرمة، وعمـل بالمعـاصي، واجترىء على الله، بعث الله الطابع، فيطبع على قلبه، فلا يعقل بعد ذلك شيئاً»[2].

جاء في كتاب (أدب الإختلاف في الإسلام)[3] ما يلي:

(من خلال استعراضنا لقضايا الإختلاف نلحظ أن الهوى لم يكن مطية أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وأن الخلافات التي أفرزت تلك الآداب لم يكن الدافع إليها غير تحري الحق. كانـوا يتحاشـون الإختلاف وهم يجـدون عنه مندوحة، فهم يحرصون كل الحرص على عدمه. وحين يكون للخـلاف أسبـاب تـبرره يسـارعـون لـلاستجـابـة للحق، والإعتراف بالخطأ، دون أي شعور بالغضاضة. لا يجاوز أحد منهم قدر نفسه، ولا يغمط حق أخيه. وكل منهم يرى أن الرأي مشترك، وأن الحق يمكن أن يكـون فيما ذهب إليـه،

---

(١) الخاتم.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) الدكتور طه علواني ـ كتاب الأمة ـ (أدب الاختلاف في الإسلام) ص ٧٢.

وهذا هو الراجح عنده، ويمكن أن يكون الحق فيما ذهب إليه أخوه، وذلك هو المرجوح. ولا مانع أن يكون ما ظنه راجحاً هو المرجوح، ولا شيء يمنع أن يكون ما ظنه مرجوحاً هو الراجح. كانت أخوة الإسلام بينهم أصلاً من أصول الإسلام الهامة التي لا قيام للإسلام دونها، وهي فوق الخلاف أو الوفاق في المسائل الاجتهادية).

إن اختلاف الأولين والذي وصل إلى حد الاقتتال لم يُخرج هؤلاء عن أدب الإسلام في الخلاف. فالخلاف بين علي ومعاوية على شدته لم يخرج واحداً منهما عن طوره وأدبه. فقد أخرج أبو نعيم عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن صخرة الكناني على معاوية، فقال له: صف لي علياً؟ فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إذا لا بد، فإنه والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، ويتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواصيه. يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير العبرة (الدمعة) طويل الفكرة، يقلب كفيه ويخاطب نفسه. يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما جشب (خشن). كان والله كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه. وكان مع تقربه وقربه منا لا نكلمه هيبة له. فإن يبتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يُعظِّم أهل الدين ويحب المساكين. لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس

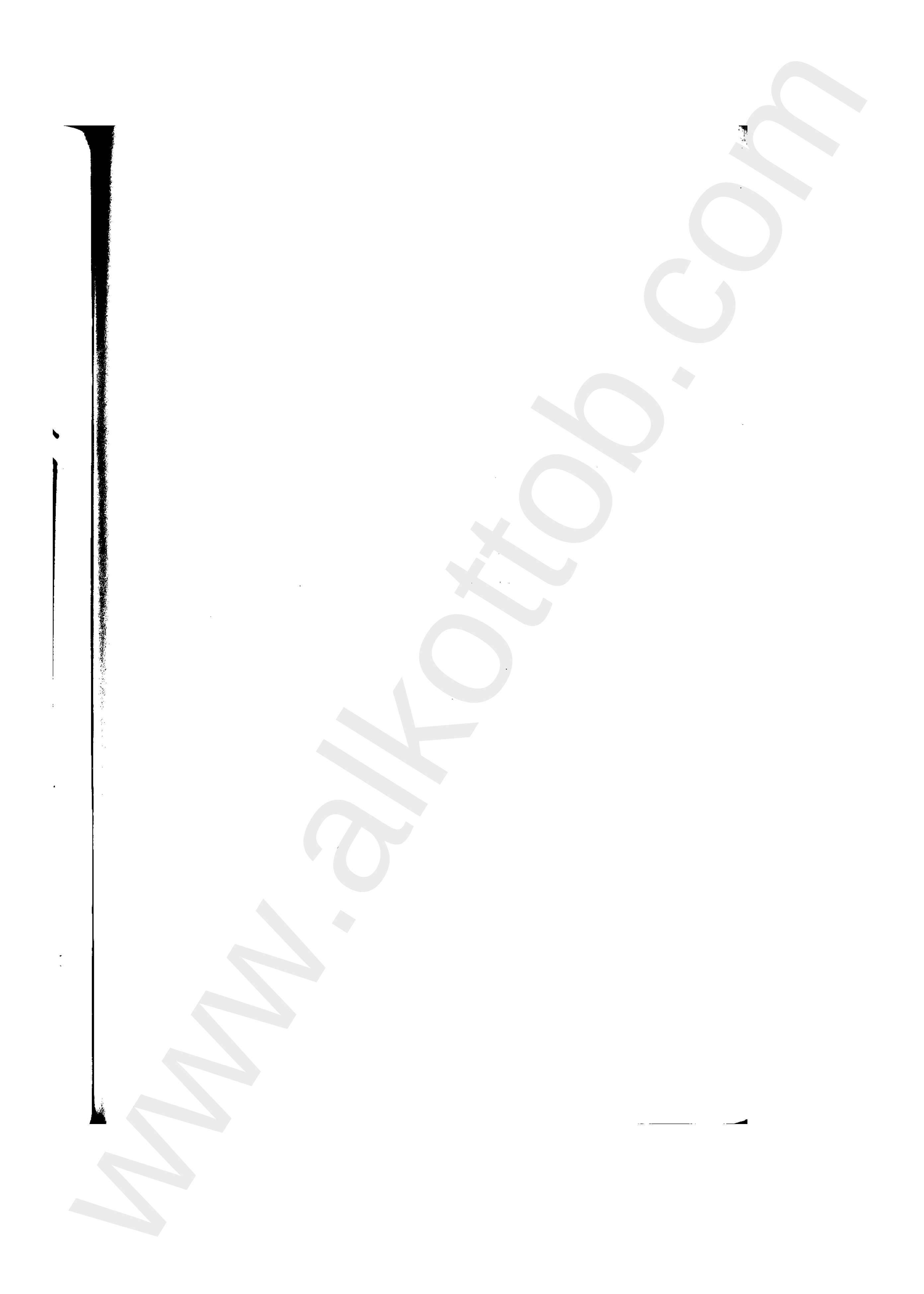
الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، يميل في محرابه قابضاً لحيته، يتململ تململ السقيم، ويبكي بكاء الحزين فكأني أسمعه وهو يقول: يا ربنا يا ربنا، يتضرع إليه، يقول للدنيا: إليّ تعرضت؟ إلي تشوفت هيهات هيهات، غري غيري. قد بتتك ثلاثاً (أي طلقتك) فعمرك قصير ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق.

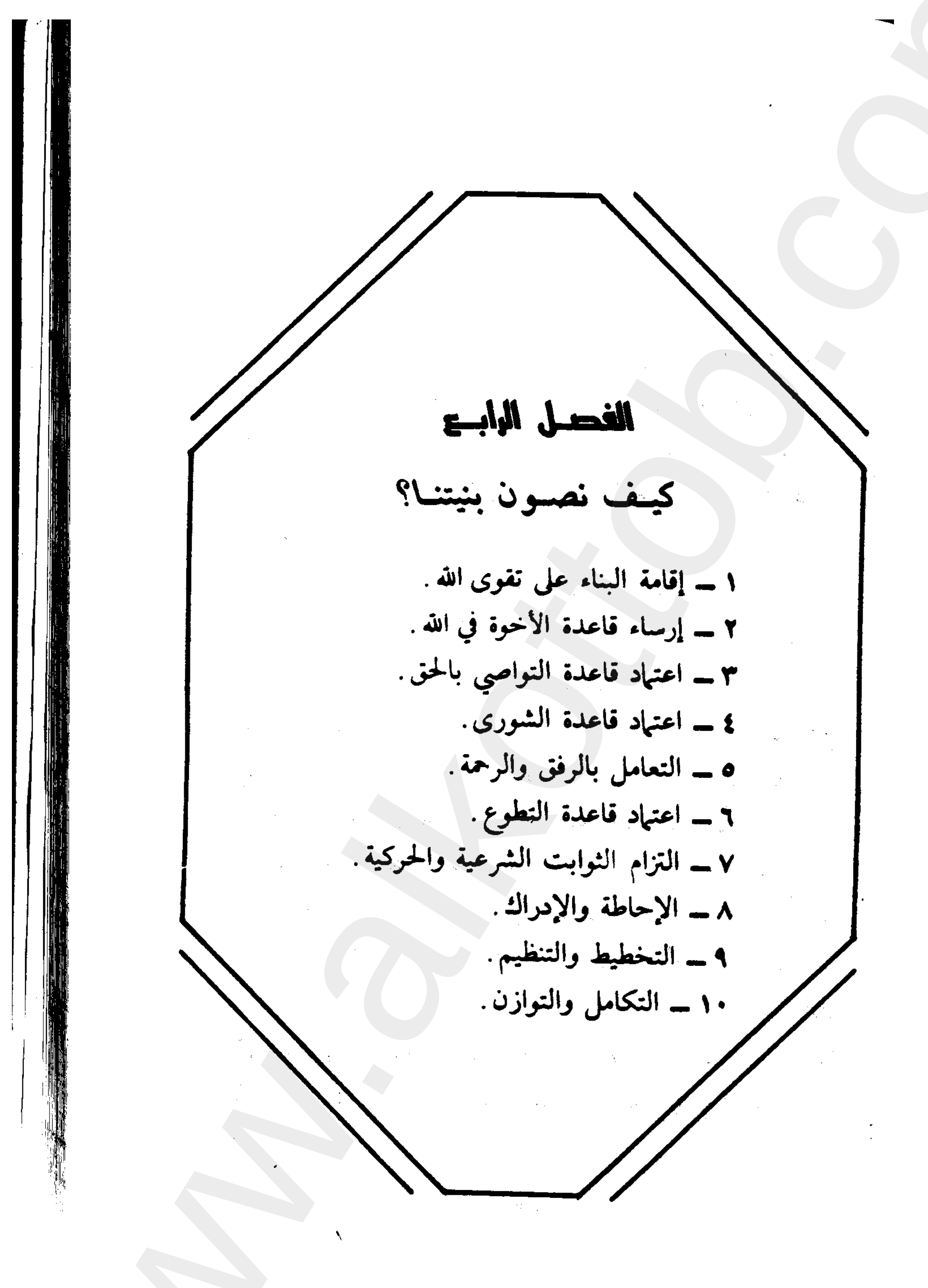
فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء. فقال معاوية: كذا أبو الحسن رحمه الله...

وينال أحدهم من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمحضر من عمار بن ياسر - الذي كان على غير موقفها يوم «الجمل» - فيقول له رضي الله عنه: (أسكت مقبوحاً منبوحاً، أتؤذي محبوبة رسول الله، فأشهد أنها زوجة رسول الله ﷺ في الجنة. لقد سارت أمنا عائشة رضي الله عنها مسيرها وإنا لنعلم أنها زوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة. ولكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه نطيع أو إياها)[1].

---

(١) أخرجه البيهقي.





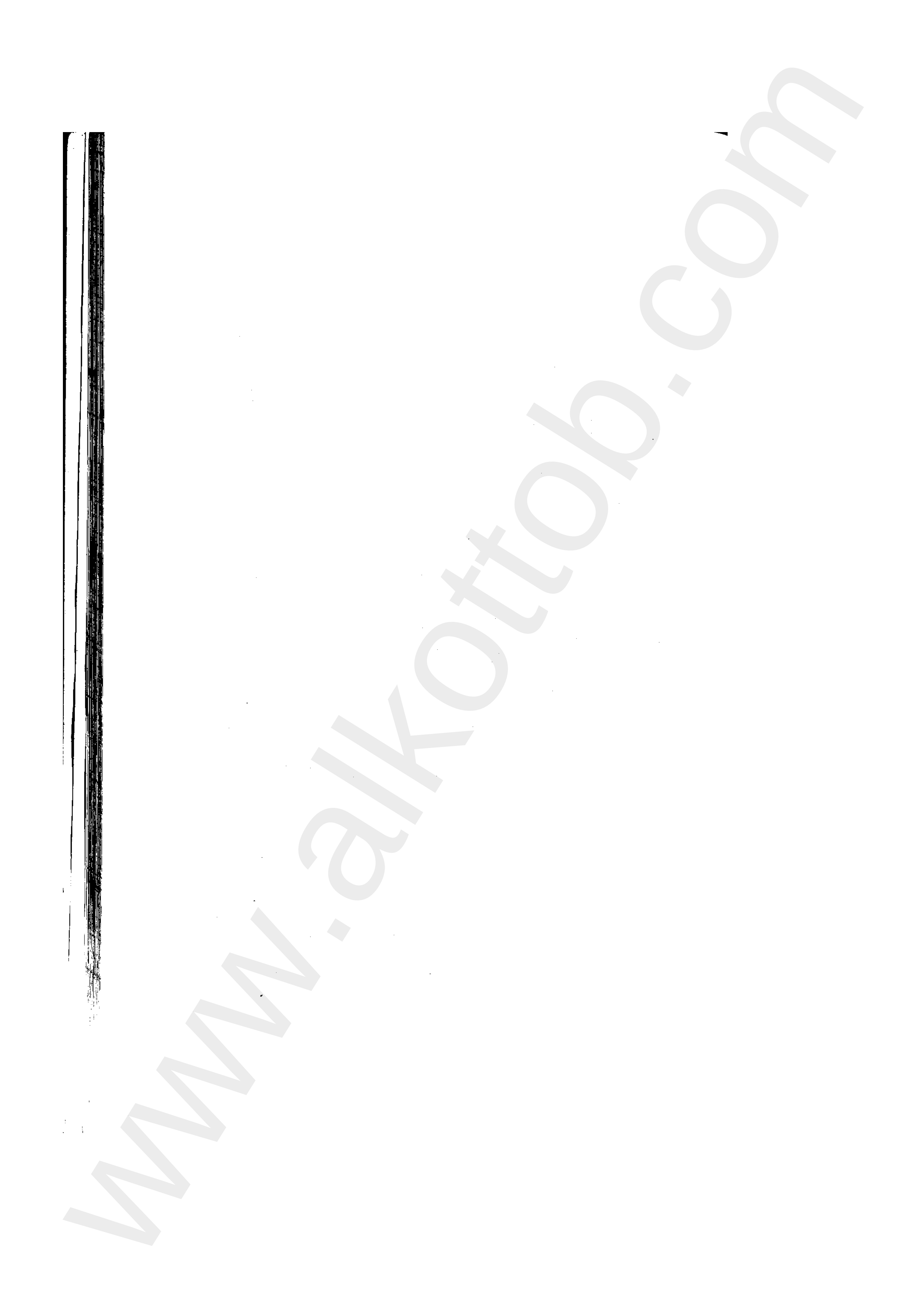
الفصل الرابع

كيف نصون بنيتنا؟

١ ـ إقامة البناء على تقوى الله.
٢ ـ إرساء قاعدة الأخوة في الله.
٣ ـ اعتماد قاعدة التواصي بالحق.
٤ ـ اعتماد قاعدة الشورى.
٥ ـ التعامل بالرفق والرحمة.
٦ ـ اعتماد قاعدة التطوع.
٧ ـ التزام الثوابت الشرعية والحركية.
٨ ـ الإحاطة والإدراك.
٩ ـ التخطيط والتنظيم.
١٠ ـ التكامل والتوازن.

حيال هذه الظاهرة المدمّرة التي تجتاح الحركات والتنظيمات على مختلف الساحات وفي كثير من الأقطار والدول، كان لا بدّ للحركة الإسلامية من مبادرة مدروسة لتحصين الساحة الإسلامية عموماً، ولتحصين البنية التنظيمية بشكل خاص.

ونحن لا نأتي بجديد حين نرفع الصوت مطالبين بذلك وداعين إلى ذلك، ومنذرين ومحذّرين من عدم المبادرة لتحقيق ذلك، فقد أمرنا الإسلام بكل ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون * وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا..﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البيّنات وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ [آل عمران: ١٠٤].



ورسول الله ﷺ كان يشير في كثير من توجيهاته النبوية إلى خطر الانقسام والاختلاف ويحذر منه ومن نتائجه ويدعو إلى التماسك والتواد والتلاحم والتعاضد على قاعدة الاعتصام بحبل الله ومن خلال آصرة الأخوة والحب في الله.. من ذلك قوله ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» متفق عليه. وقوله: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث. ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً. ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك» رواه أحمد.

والآن ما هي العوامل الشرعية المطلوبة لتحصين البنية التنظيمية الإسلامية في مواجهة وباء الإيدز الحركي هذا، والذي يهدد المناعة المكتسبة لديها بالانهيار والدمار الكليين؟.

١ ـ إقامة البناء على تقوى الله:

إقامة البنيان على تقوى الله تعالى في كل جانب من جوانبه وركن من أركانه وزاوية من زواياه.. إنه لا بدّ وأن تغطي التقوى مساحة العمل الإسلامي كله وتكونَ صمامَ الأمان له وفيه.. فالعمل السياسي قبل العمل التربوي يجب أن يتحرى التقوى.. كذلك الجانبُ الاقتصادي والمالي

والاجتماعي يجب أن يبقى بدوره فوق مستوى الشبهة . .

يقول تعالى: ﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين﴾، [التوبة: ١٠٩].

فالحركة حين تحفظ الله وتتقيه في سيرها وموقفها وقرارها . . في علاقتها مع البعيدِ والقريب، مع العدو والحبيب . .

والحركة حين تحفظ الله وتتقيه في حالتي السلم والحرب، والسراء والضراء، والشدة والرخاء . .

والحركة حين تربي أفرادها على ذلك وعلى التمسك بكل ذلك . . حين تحقق التربية فيهم تقوى الله عز وجل ومراقبته والطمع دائماً وأبداً برضاه . .

الحركة حين لا يشغلها عن هذه المهمة شاغل، مهما كثُرت وتعددت الشواغل . .

هذه الحركة تبقى مستعصيةً ـ بعون الله ـ على معاول الهدم، محصنةً من مضلات الهوى ونزغات الشياطين.

ولتعميق فضيلة التقوى في الحركة الإسلامية قاعدةً وقيادة، لا بد من الالتزام بالمنهج النبوي في التربية الروحية.

ـ فحسنُ التفقه في دين الله والتبصرِ بشرع الله ومعرفة الحلال والحرام والمندوب والمكروه وغيره، تُعتبر من العوامل المساعدة على تحقيق التقوى والعملِ الصالح بدليل قوله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويعلمه رشده». وشرطُ ذلك أن يكون التعلمُ والتفقه لله تعالى وابتغاءَ مرضاته، وإلا كان واقعاً في محذور قوله ﷺ: «من تعلم العلم ليجاري به العلماء ويماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار».

ـ وإحسانُ العبادة لله مدخلٌ واسع لبلوغ تقوى الله، وإلى ذلك يشير رسول الله ﷺ حين سئل عن الإحسان فقال: «الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فالصلاة حين تؤدَّى بحضور قلب وإحسان، تبعثُ في النفس الورع والخوف من الله تعالى مصداقاً لقوله عز وجل: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥].

والصوم حين يؤدَّى على الوجه الصحيح، يُصبح مدرسة للتقوى مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[البقرة: ١٨٣].

وذِكرُ الله تعالى والمداومةُ عليه يُطمئنُ القلب، ويُحصنُ

النفس من كل الطوارىء الشيطانية، ويمنحها حلاوةَ العيش مع الله ومراقبة وجهه تعالى. وفي وصية داود عليه السلام لقومه: (وآمركم بذكر الله، فإن أحصن ما يكون العبد في ذكر الله تعالى. وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعاً فأتى حصناً فتحصن فيه)..

إنه حين تضعفُ مراقبةُ الله تعالى في النفوس، ولا تكون القوامةُ للتقوى على الجوارح وما تجترحه من أعمال وتصرفات، يُصبح الفرد ألعوبةً بيد الشيطان وتصبحُ أفكارهُ وأقواله وتبريراته بعضاً من تلبيس إبليس..

- فالذي لا يتقي الله تعالى يُخشى من شره ولا يُطمأن إليه..

- والذي لا يتقي الله تعالى لا يتورع عن إيقادِ نار الفتنة، وعن السير بالغيبة والنميمة بين الأفراد..

- والذي لا يتقي الله لا يملكُ أن يُمسك لسانه عن تناول إخوانه ومن حوله بما يؤذيهم ويُسيء إليهم.

- والذي لا يتقي الله يمكن أن يبيع دينه ودعوته بدريهمات، كما يمكن أن يَسْقُطَ في أي اختبار وامتحان..

- والذي لا يتقي الله يمكن أن يتّجِرَ بالإسلام ويتاجرَ به، ويساومَ على الإسلام ويساوم به..

ـ والذي لا يتقي الله هو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله، ولئن جاء نصرٌ من ربك ليقولُن إنا كنا معكم، أو ليس الله بأعلمَ بما في صدور العالمين، وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾ [العنكبوت: ١٠].

ـ والذي لا يتقي الله هو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿إنما النجوى من الشيطان، ليحزن الذين آمنوا، وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ [المجادلة: ١٠].

ـ والذين لا يتقون الله هم المعنيون بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضاً، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢].

ـ والذين لا يتقون الله هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشةُ في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ [النور: ١٩].

ـ والذين لا يتقون الله هم المعنيون بقوله: ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً، وإن الظن لا يُغني من الحق شيئاً، إن الله عليم بما يفعلون﴾ [يونس: ٣٦].

ـ والذين لا يتقون الله هم المعنيون بالنذُر القرآنية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم، فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وتناجوا بالبر والتقوى، واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ [المجادلة: ٩].

ـ والذين لا يتقون الله هم المعنيون بقوله: ﴿والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ [فاطر: ١٠].

ـ والذين لا يتقون الله هم المعنيون بقوله: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ [النساء: ١١٢].

ـ والذين لا يتقون الله هم المعنيون بقوله: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم. يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور: ٢٤].

ـ وأود أن أخلص من كل ذلك إلى أن التقوى صمّام أمان الأفراد والجماعات، وسببُ نجاح الأعمال والتصرفات، ونور البصائر والتصورات، والعامل الأقوى والأهم في اجتناب المعاصي والشبهات فضلاً عن الفواحش والموبقات..

ولا أكون مبالغاً إذا قلت إن أكثر المشاكل، مبعثها ضعف التقوى، وقلة الورع، سواء في القاعدة أم في القيادة، وأثر ذلك في القيادة أشنع وأبشع..

٢ ـ إرساء قاعدة الأخوة في الله:

إن قاعدة الأخوة في الله هي أوثق عرى الإيمان، واللبنة الأقوى في البنيان، والآصرة التي تجعل الحركة الإسلامية كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً..

وبقدر ما تكون الأخوة قويةً بقدر ما تبعث في الصف القوة، وبقدر ما تحصّنه وتسدده، وتدفع عنه العاديات، وترد عنه النائبات.. وحين تضعف الأخوة أو يعتريها الهُزال تصبح الحركة مرتعاً للمشاكل والأمراض والعلل.

ـ من هنا الدعوات القرآنية الصارخة: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾.

ـ ومن هنا التذكير بالأخوة والحض على التمسك بها: ﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٠].

ـ ومن هنا التصوير النبويّ للمتحابين في الله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحُمى والسهر»، «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً»، «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»، «لا تقاطَعوا ولا تدابَروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً».

ــ ومن هنا التحذير النبوي من الفرقة والاختلاف: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ويلعن بعضكم بعضاً»، «لا تقاطعوا ولا تدابَروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً».

ــ ومن هنا اللفتات النبوية إلى حقوق الأخوة في الإسلام: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»، «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم. فمن جعل الله أخاه تحت يده: فليطعمه مما يؤكل وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل فوق ما يطيق، فإن كلفه فليُعنه».

ــ ومن هنا الإشارات النبوية التي تحضُ على الوفاء الأخوي: «ما من امرىء مسلم يخذل إمرأ مسلماً في موضع تُنتهك فيه حرمته، ويُنتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطن يُحب فيه نصرته»، «إن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه».

ــ ومن هنا الزواجر النبوية من آفات اللسان، ومهالك الغيبة والنميمة والبهتان. «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: (المفلس من لا درهم له ولا متاع). فقال: «المفلس من أمتي من أتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب

هذا. فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يَقضي ما عليه أُخذَ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»، «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء يُشينه بها في الدنيا، كان حقاً على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاد ما قال»، كنا مع النبي ﷺ، فارتفعت ريح منتنة. فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين»، «الغيبة والنميمة يَحُتَّان الإيمان كما يَعْضُدُ الراعي الشجرة»، قالت عائشة رضي الله عنها: (قلت لامرأة مرة عند النبي ﷺ: إن هذه لطويلةُ الذيل. فقال: «الفظي الفظي»، فلفظتُ بضعةً من لحم)، «خيار عباد الله الذين إذا رءوا ذكر الله، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت». وفي رواية: «العيب»، «المؤمن إلفٌ مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

٣ ـ اعتماد قاعدة التواصي بالحق:

وهي قاعدة التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وقاعدة النصح في الله، وقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فكلُّ بنية لا تقوم على أساس من هذه القواعد تكون عليلةً سقيمة لا تقوى على الاستمرار والصمود، تعبث بها الأهواء والنزوات والمصالح والشهوات. ولقد لَعن الله تعالى

بني إسرائيل بسبب من هذا فقال: ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داودَ وعيسى بنِ مريم، ذلك بما عَصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فلبئس ما كانوا يفعلون﴾ [البقرة: ٦١].

إن الحركة التي لا تقوم العلاقةُ بين أفرادها بعضهم مع بعض وبينهم وبين القيادة، على أساس من التواصي بالحق والتواصي بالصبر، تكون حركةً غير راشدة وغير مهتدية وغير موفقة، تعَطَّل فيها صمامُ الأمان، وتعطل فيها كابحُ الجماح (الفرامل) فهي تهوي في لُجةٍ ليس لها قرار..

من هنا قولُ الإمام الغزالي في تبيان قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مسيرة الإسلام حيث يقول: (الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر هو القطبُ الأعظم في الدين، وهو المهمةُ التي ابتعثَ الله لها النبيين أجمعين. ولو طُوي بساطُه وأُهمل علمُه وعملُه لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعَمَّت الفترةُ، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخَرقُ وخَربت البلاد، وهَلَك العباد..) الإحياء ٢ - ٢٦٩.

ومن هنا مسؤوليةُ القيام بهذا الواجب من قبل الجميع، كل في حدود ما يعرف وما يملك.. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله،

ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» رواه مسلم.

وهنا لا بد من استعراض عدد من الثوابت التي يجب أن تتوافر وتتحقق في نطاق التعامل بقاعدة التواصي بالحق والتواصي بالصبر بين القاعدة والقيادة وبين الراعي والرعية..

أولاً: اعتبار أن الحق فوق الجميع، وإن على الجميع أن يرضخوا له - قاعدة وقيادة - مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ [الحجرات: ١]، ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦].

واعتبار أن الرجال يُعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بهم، وأن الحق أحق أن يتبع، وأن علينا أن نأخذ الحق ممن جاء به من صغير أو كبير ولو كان بغيضاً بعيداً، وأن نرد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير ولو كان حبيباً قريباً.

ثانياً: اعتبار أن الجميع أمام الحق سواء، قيادة وقاعدة، أفراداً ومسؤولين. فليس بين الله تعالى وبين أحد نسب إلا طاعته، فالجميع أمام شرع الله سواء. وأنه حين تهتز هذه القاعدة يهتز البنيان كله ويصبح الاحتكام للهوى لا للحق.

ولهذا كان الموقفُ النبوي فاصلاً في هذا الشأن عندما جاء أسامة بن زيد إلى رسول الله ﷺ يشفع للمرأة المخزومية التي سرقت ـ وكان أسامة من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ ـ فابتدره رسول الله ﷺ بقوله: «أتشفع في حد من حدود الله؟» ثم قام فخطب فقال: «أيها الناس إنما هلك الذين من قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» رواه البخاري.

ثالثاً: من حق القيادة الاجتهاد فيما ليس فيه نص، ولها أن تفاضل بين السياسات والمواقف الجائزة. فإن أخطأت فلها أجر وإن أصابت فلها أجران. كما إن لها على الأفراد حق السمع والطاعة فيما لا معصية فيه.

إنه يجب أن يكون معلوماً أن الأحكام الشرعية تنظر إلى كل الحالات والظروف وليس إلى حالة واحدة وظرف واحد. ثم إنها تلحظ في كل ذلك حالات القوة والضعف، والظروف العادية والاستثنائية، وقدرات الأفراد وطاقاتهم ومبلغ تحملهم، ثم تضع لكل ظرف من تلكم الظروف ما يمكن تحقيقه والقيام به من غير عنت ولا حرج، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن هنا القاعدة الفقهية التي تنص على أن: (المشقة تجلب التيسير).

ومن هنا جواز الأخذ بقاعدة: (اختيار أهون الشرين) عند الحاجة.

ومن هنا ضرورة ملاحظة قاعدة: (درء المفاسد يقدم على جلب المنافع).

رابعاً: على الأفراد واجب النصح لبعضهم البعض وللقيادة. فإن كان الأمر فيه التباس وجب التبين والتدقيق قبل الحكم والمقاضاة. وفي كل الأحوال لا بد من امتلاك الدليل الشرعي على المخالفة. فإن كان في القضية أكثر من قول سقطت الحجة على المخالفة. وإن وجد الدليل الشرعي على المخالفة وجب على القيادة تصحيح الموقف والرجوع عن الخطأ..

والنصح والنصيحة كما يقول ابن الأثير: (هي إرادة الخير للمنصوح له، ولا يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها) النهاية ١٤٨/٤.

ـ والأمر بالمعروف يعني الأمر بالفضائل ومكارم الأخلاق قولاً وعملاً.

ـ والنهي عن المنكر يعني بالتالي النهي عن الرذائل والموبقات قولاً وعملاً.

ومن هنا لا يمكن أن يكون الأمر بالمعروف بمنكر من القول والعمل..

فقذف المؤمنين والمؤمنات، وإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، والسخرية بالمؤمنين والمؤمنات، والتماس العيوب، واختلاق التهم، والإرجاف، وتتبع العورات، ونشر الأكاذيب هي المنكر بذاته ولا تقع بحال ضمن دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

خامساً: والحسبة في الشرع إنما تكون في المنكرات التي لا خلاف فيها. وهي لا تجوز في أمور هي موضع اجتهاد. وفي هذا يقول الإمام الغزالي معدداً شروط الحسبة: (أن يكون منكراً معلوماً بغير اجتهاد، فكل ما هو محل الاجتهاد فلا حسبة فيه).

ويقول أبو الحسن الماوردي: (لا إنكار في المختلف فيه بناء على أن كل مجتهد مصيب).

سادساً: التقيد بالشروط الشرعية لدى القيام بالنصح أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن ذلك:

أ ـ التبين والتوثق وتحرّي الصحيح من الأخبار والمعلومات قبل ممارسة النقد أو النصح.. فكم من شائعات ومقولات لم يكن لها في الحقيقة أصل.. وكم من اتهامات وأراجيف صاغها وضخمها كثرة تناقل الألسنة لها من غير تحرٍ لحقيقتها. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت كاذب» رواه البخاري.

ب ـ تحرّي القصد: بمعنى أن يستطلع الناقد أو الناصح حقيقة البواعث والمقاصد التي تدفعه إلى ذلك، خوفاً من أن يخالطها شيء من هوى النفس كالغيرة والحسد وما شاكل ذلك من مقاصد ذميمة.

ج ـ تحرّي الأسلوب: بمعنى أن يكون الأسلوب المتبع في النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرعياً وغير منكر. فشرط التواصي أن يكون بالحق لا بالباطل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق﴾.

من ذلك فإنه يَحْسُن أن يُسدي النُصح على انفراد لأن ذلك أوقع في النفس، وأحوط من دخول الشيطان. وصدق علي بن أبي طالب حيث يقول: (النصح بين الملأ تقريع)، ولذلك وجب أن يكون إسداء النصح في موضعه ومع صاحب الشأن نفسه.

والإمام ابن القيم يرى أن النبي ﷺ أوجب على الأمة إنكار المنكر ليحصل له المعروف الذي يحبه الله ورسوله، ولكن إذا أفضى إنكار منكر إلى حدوث آخر شر منه لم يجز. ثم يقول: (إنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه، فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة) إحياء علوم الدين ٢/ ٢٨٠.

سابعاً: عدم التعرّف على المنكر بوسائل غير شرعية، من ذلك:

أ ـ تتبع العورات واستراق السمع والبصر مصداقاً لقوله ﷺ: «إنك إن اتّبعت عورات الناس أفسدتهم» رواه أبو داود.

ب ـ التجسس بكل أشكاله المباشرة وغير المباشرة، الفردية والجماعية. بدليل قوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا..﴾ وقوله ﷺ: «من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله، فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله» رواه مالك. وقيل لعبدالله بن مسعود: إن فلاناً تتقطر لحيته خمراً فقال: (إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به).

وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تسلق دار رجل، فرآه على حالة مكروهة، فأنكر عليه. فقال الرجل: يا أمير المؤمنين: إن كنت أنا قد عصيت الله من وجه واحد فأنت عصيته من ثلاثة أوجه. فقال: وما هي؟ قال الرجل: قد قال الله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ وأنت تجسست. وقال:

﴿واتوا البيوت من أبوابها﴾ وقد تسورت من السطح. وقال: ﴿ولا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ وما سلمت. فتركه عمر، وشرط عليه التوبة.

٤ ـ اعتماد قاعدة الشورى:

قاعدة الشورى لا التفرد ولا التسلط. هذه القاعدة التي أمر بها الله تعالى نبيه الكريم حيث قال: ﴿وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله﴾ [آل عمران: ١٥٩] والتي وصف الله عز وجل المسلمين بها فقال: ﴿وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ [الشورى: ٣٨].

وقاعدة الشورى هذه سواء اعتمد فيها حكم الإلزام أم الإعلام فإنها صمام أمان الأعمال، والسبيل الذي يسترشد به فيما أشكل من أمور وما تعقد من معضلات. ومن هذه الزاوية يمكن أن يفهم قوله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على ضلالة»، وقوله: «ما خاب من استشار، وما ضل من استخار، والمستشار مؤتمن».

والحركات التي تلتزم هذه القاعدة ولا تتفرد فيها القيادات برأيها وتبقى حريصة مستفيدة مما عند الآخرين من آراء ـ وما أكثرها وأنفعها ـ تبقى بفضل الله تعالى الأهدى والأرشد والأسدد.

من هنا قوله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة

الناس والتودد إليهم. وما هلك رجل عن مشورة، وما سعد رجل باستغنائه برأيه. وإذا أراد الله أن يهلك عبداً كان أول ما يفسد منه رأيه. وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. وإن أهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة».

إن المتتبع للأسباب التي تقف وراء ظاهرة تمزق البنى التنظيمية والحركية يمكن أن يكتشف أن من الأسباب الرئيسية، فردية القيادية واستغناؤها برأيها عن آراء الآخرين.

إنه مرض العجب الذي إذا ضرب جماعة ما أهلكها وشتت شملها وأذهب ريحها وجعل بأسها بينها، وهو من العلائم والإشارات السيئة التي لا تبشر بخير وإنما تنذر بشر كما يخبر المصطفى ﷺ بقوله: «إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصية نفسك».

ويروى أن عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه كان: إذا خطب فخاف العجب قطع، وإذا كتب فخاف العجب مزق، وقال: (اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي).

إن الحركة التي تتعامل فيها القيادة مع الأفراد، وكأنهم اتباع ومحاسيب لا أخوة وشركاء تكون على فوهة بركان ومعرضة للانفجار ثم الانهيار في كل آن..

والحركة التي لا مكان فيها لمعترض أو منتقد تصبح أسيرة الأهواء والنزوات سهلة الانزلاق في مهاوي المخاطر والمشكلات.

من هنا كانت المعارضة المشروعة عاملاً أساسياً من عوامل قوة الحركة وتمكنها، ونهجاً يحقق أمنها وسلامتها ويجنبها السقوط والفشل..

ولكن هذا لا يعني بحال جواز خروج المعارضة على الصف كائناً ما كان الاختلاف في وجهات النظر.

والحالة الوحيدة التي يسمح فيها الشرع للمعارضة بمفاصلة القيادة ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «لا تنزع يد من طاعة إلا أن تروا كفراً بواحاً لكم فيه من الله برهان».

أما خلق المحاور وتحريكها وإيجاد التكتلات والتيارات ضمن إطار البنية التنظيمية الواحدة بحجة إزالة منكر ما فهو المنكر بذاته وليس من الإسلام في شيء، ثم هي لا تعدو أن تكون عامل هدم وتخريب ليس إلا. وإلى هذا المعنى أشار رسول الله ﷺ بقوله: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية، يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة، فقتل فقتلة جاهلية ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لدى عهد عهده، فليس مني ولست منه» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «إنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً ما كان» رواه مسلم.

ولقد وضع الإمام الشهيد حسن البنا عدداً من القواعد والأصول يمكن أن تعتبر ثوابت تنظيمية وحركية بهذا الخصوص.. من ذلك:

ـ الأخ الذي له أساليب خاصة به، وينظر إلى القيادة نظرة أقران، ولا يصغي لآرائها إلا قليلاً، فإن الاعتماد عليه مخاطرة ـ[1] مهما بلغ من الصلاح، لأنه يغري الجماعة بصلاحه ويفرقها بخلافه[2].

ـ لا ينفع في بناء الجماعة إلا ما بنت القيادة بنفسها، أو بجهود الإخوان الذين يرون للقيادة معهم شركة في التهذيب والتعليم. ولهذا فإن كل فرع أنشيء بغير أسلوب القيادة لا ينفع كثيراً[3]. وفي حكم عطاء: (من لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة).

ـ للجماعة كلما انتقلت إلى مرحلة جديدة من مراحل

---

(١) المذكرات ١٣٢.

(٢) المذكرات ٩٤.

(٣) المذكرات ١٣١.

العمل أن تعيد تصنيف أخوانها[1]، وأن تطلب القيادة من القادر على متابعة المسير أن يتقدم، وتطلب من غير القادر أن يتأخر[2].

ـ عندما يتورط بعض الإخوان في معارضة للقيادة وخروج على الأصول المتبعة بدافع من الإخلاص وحسن القصد، ولكنهم يخطئون الطريق، فإن واجب القيادة حسن الظن بهم، وتقدير سابقتهم في الدعوة، وخدمتهم إياها، وتضحيتهم في سبيلها. فتحرص على أخوتهم، وسلامة نفوسهم، ولا تؤاخذهم بقسوة أو تعاجلهم بعقوبة، أو تباعد بينهم وبين إخوانهم بإقصاء أو فصل. إنما تحاول معالجة الأمر بالتي هي خير. فإن عادوا إلى الجادة فيها ونعمت، وإن أبوا إلّا التمرد فإن القيادة لا بد وأن تفصلهم[3].

ـ أما عندما يكون هناك تآمر واضح وخسة ومكر، فليس من الخير على الإطلاق بقاء أمثال تلك العناصر مع الجماعة، إلّا أنه لا ينبغي للجماعة أن تشهر بالذين فصلتهم، فلعله يكون أصلح لها ولهم وللإسلام أن يعملوا من خارجها. واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية[4].

---

(١) المذكرات ١٩١.

(٢) المذكرات ١٧٩.

(٣) المذكرات ١١٥ و١١٨ و١١٩.

(٤) المذكرات ١٢٤ و١٢٥.

٥ ـ التعامل بالرفق والرحمة:

أن تكون قائمة على قاعدة التراحم والتعاطف والتكافل دونما إغفال للقواعد التنظيمية. ودون أن تصبح (الحرفية التنظيمية) أساس العلاقة بين القاعدة والقيادة وبالعكس.

فبقدر ما تكون علاقة الأفراد مع القيادة حميمة بقدر ما تكون البنية الحركية قوية ومتينة ومستعصية على معاول الهدم مهما تكاثرت وتنوعت.

من هنا الوصف القرآني لعلاقة القيادة النبوية بالقاعدة ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومن هنا الوصف القرآني لمدى حرص القيادة النبوية على الأفراد والرعية ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن هنا الإشارات والتوجيهات القرآنية والنبوية للتعامل باللين لا بالشدة، وبالرفق لا بالغلظة، وبخفض الجناح لا بالكبر والعتو: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥]، ﴿أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح: ٢٩].

ولقد بلغ الرفق والرحمة برسول الله ﷺ حداً طال حتى أقل الناس شأناً وأدناهم قدراً، مما جعل زيداً خادمه يقول: (لقد خدمت رسول الله ﷺ طيلة عمري فما قال لي يوماً: أف).

والمؤمن كما يخبر رسول الله ﷺ: «المؤمن ألف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

وإذا كان الإسلام قد دعا وحض على الرفق بالحيوان فكيف بالإنسان الذي كرّمه الله عموماً، ثم كيف بالمسلم الذي كرّمه الإسلام بشكل خاص: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم..﴾ [الإسراء: ٧٠].

أو لم يسمع قساة القلوب وغلاظها، ممن يعملون على الساحة الإسلامية، وقد يكونون ممن يتصدرون صفوفها، ألم يسمع هؤلاء وأولئك ممن ابتلي بهم الإسلام، وممن انقلبوا إلى جلادين شغلهم الشاغل مقاضاة الناس وإصدار الأحكام عليهم من غير حياء من الله ولا خجل.. ألم يسمع هؤلاء صوت النبي محمد ﷺ يدعو إلى الرفق ويحذّر من العنف والتطرف عموماً.

فعنه ﷺ قوله: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه».

وعنه ﷺ قوله لعائشة رضي الله عنها: «يا عائشة إن الله

رفيق يحب الرفق. ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه» رواه مسلم.

وعنه عليه أفضل الصلاة والسلام: «من يُحرم الرفق يحرم الخير».

إن الساحة الإسلامية تحتاج اليوم وفي كل يوم إلى دعاة.. والذين حرموا الرفق وجُبلوا على الغلظة والعنف لا يمكن أن يكونوا يوماً دعاة، بل أن معاول هدمهم قد تكون أوقع من عوامل بناء الآخرين. وصدق الشاعر حيث يقول:

لو ألف بان خلفهم هادم كفى
فكيف ببان خلفه ألف هادم

٦ ـ اعتماد قاعدة التطوع:

أن يكون العمل قائماً على قاعدة التطوع والجهاد لا المنفعة والارتزاق. والحركة الإسلامية عبر تاريخها الطويل كانت ساحة تنافس على العطاء والتضحية والبذل على كل صعيد، ولم تكن قط ساحة كسب مادي أو انتفاع دنيوي. وهذا هو مناط التكليف ابتداء والذي يتجلى في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أولئك هم الصادقون﴾ [الحجرات: ١٥].

ثم إن دعوى الإيمان لا بد لها من دليل، ودليل الإيمان، وشرط الوفاء بعهد الإسلام، هو البذل والعطاء والجود والسخاء بكل ثمين وغال. هذا فضلاً عن كون الجنة - سلعة الله الغالية - لا ينالها إلا من دفع الثمن. وثمنها يتجلى في قوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة. .﴾ [التوبة: ١١١].

هكذا فهم المسلمون الأولون طبيعة دعوتهم ومقتضيات عقيدتهم فكانوا سباقين إلى العطاء في كل ميدان. .

- ففي ميدان العطاء المادي روي عن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق. ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر رضي الله عنه إن سبقته يوماً. فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: أبقيت لهم. قال: «ما أبقيت لهم؟» قلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: «يا أبا بكر، ما أبقيت إلى أهلك؟» قال: «أبقيت لهم الله ورسوله. .» قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً. . أخرجه أبو داود.

وفيما أخرجه أحمد عن عبدالرحمن بن خباب السلمي رضي الله عنه قال: خطب النبي ﷺ فحث على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها. ثم نزل رسول الله ﷺ من المنبر ثم

حث. فقال عثمان رضي الله عنه: علي مائة أخرى بأحلاسها وأقتابها. قال: فرأيت رسول الله ﷺ يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب: «ما على عثمان ما عمل بعد هذا!».

وروي أن صهيباً حين أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك. فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم. قال: فإني جعلت لكم مالي. قال: فبلغ ذلك رسول الله فقال: «ربح صهيب ربح صهيب».

وقال شداد بن الهاد: جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه. فقال: أهاجر معك، فأوصى به بعض أصحابه. فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئاً فقسمه، وقسم للأعرابي. فقال الأعرابي للرسول ﷺ: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه بسهم ـ فأموت فأدخل الجنة. فقال: إن تصدق الله ليصدقنك الله. ثم نهضوا إلى قتال العدو. فأتي به وهو مقتول فقال الرسول ﷺ: «أهو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدق الله فصدقه!».

وصفوة القول في قضيتي التطوع والتفرغ ما ذكره الإمام البنا رحمه الله في كتابه مذكرات الدعوة والداعية حيث

يقول: (التفرغ للعمل مبدأ صحيح يعمل به عند الحاجة إليه. ولكن ينبغي على الأخوة أن لا يجعلوا الجماعة متكأ لحل مشاكلهم الخاصة، فلأن يعطي أحدهم الدعوة خير له من أن يأخذ منها).

ولا نود أن نستشهد هنا عن جوانب من سخاء الأولين بالنفس فحسب أحدنا أن يعود إلى أي كتاب من كتب السيرة والتاريخ الإسلامي ليجد صفحاتها زاخرة بأسماء المجاهدين والشهداء من عشاق الجنة والمقبلين على الموت في سبيل الله: ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾. [الأحزاب: ٢٣].

فما أحوج الساحة الإسلامية إلى أن تراجع حساباتها، وتقارن يومها بأمسها وماضيها بحاضرها.. وما أحوج العاملين في الحقل الإسلامي في كل مكان إلى أن يعرضوا صفحات حياتهم على صفحات الذين خلوا من قبلهم ليجدوا أن الفارق كبير، والبون شاسع، وهذا وحده سر كل فشل، وسبب كل هزيمة. فنسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

لقد ابتليت الساحة الإسلامية اليوم بنقصان منسوب العطاء، وطغيان منسوب الأخذ.. وأخذت تتراجع نسبة (التطوع) فيما نسبة (التفرغ) إلى ازدياد..

إن تفاقم هذه الظاهرة واستفحالها من شأنه أن يقضي بالتدريج على روح المجاهدة والمبادرة الذاتية لدى العاملين، ويحيل الساحة الإسلامية والدعوة الإسلامية طابوراً من الموظفين والمرتزقة والمنتفعين. .

ولكنني أود أن أنبّه هنا إلى أن القصد من الكلام لا يتصل بمبدأ التفرغ وإنما بكيفيته ونوعيته. فالحركة الإسلامية باتت بمسيس الحاجة إلى مؤسسات متفرغة مستقرة تنهض بتبعات العمل على كل صعيد. واختيار الأكفاء لسدّ هذه المواقع بات فريضة شرعية بدليل القاعدة الشرعية: (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).

٧ ـ التزام الثوابت الشرعية والحركية:

أن يكون العمل قائماً على ثوابت عقائدية وفكرية وسياسية وحركية لا تهتز باهتزاز الظروف ولا تتغير الأشخاص مع الاستفادة من المساحة التي يسمح بها الشرع في المرونة والاجتهاد. .

فالحركة حين تسمح لنفسها بتجاوز بعض ثوابتها تكون قد عبثت بشخصيتها وهويتها إلى أن تصبح بلا شخصية ولا هوية. فيضطرب سيرها، وتتمايل خطاها، وتهتز بنيتها، وتعصف بها العاديات، وتحيلها أثراً بعد عين.

فكم من حركة استدرجتها طروحات الآخرين ودفعت بها - على حين غـرة - إلى اعتمادها وهي لا تدري أنها تتناقض بالكلية مع ثوابتها.

ففي فترة من فترات اهتزاز الثوابت أجاز البعض فكرة تساهل العاملين في الالتزام الإسلامي بذريعة إمكان تحقيق ذلك بعد الفراغ من التغيير الإسلامي العام، مع أن هذا يصطدم بمعادلة قرآنية ثابتة تتجلى في قوله تعـالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقـوم حتى يغيروا مـا بأنفسهم﴾ [الـرعد: ١١]..
وأجاز البعض الانشغال بجزئية من جزئيات المنهج الإسلامي وتسببوا بإحداث فتن بين المسلمين، في وقت يتعرض الإسلام فيه والمسلمون لحملات إبادة على أكثر من صعيد..

ـ فمن الثـوابت التي يجب أن لا تنسى أن الحـركـة الإسـلامية لم تصـل بعد إلى أن تكـون (جماعـة المسلمـين) المقصودة في الأحاديث الشريفة، وإنما هي مـاضية لتحقيق ذلـك. وإن على المسلمـين أن ينضموا إليهـا للوصـول إلى الهدف المنشود. إلا أنها لا تعتبر غير المنضمين إليها مرتدين وإنما هم مقصرون في واجباتهم الشرعية[1].

ـ ومن الثوابت كذلك أن الحركة الإسلامية تعتبر دعوتها عامة لجميع الناس، وليست خاصة بصفوة معينة. فهي لا

(١) المضيبي ١٨٥.

تحرج في ضم المقصرين في بعض الطاعات المقبلين على بعض المخالفات، ما دامت تعرف منهم خوف الله واحترام النظام وحسن الطاعة، فهي تأمل في تربيتهم بداخلها.. ولكنها ترفض الملاحدة، كما ترفض الصالحين الذين لا يحترمون النظام ولا يقدرون معنى الطاعة لعدم صلاحيتهم للعمل الجماعي[1]..

ـ ومن الثوابت أن الحركة الإسلامية ترى أن المسلمين على اختلاف مذاهبهم أمة واحدة، وهي تسعى لتوحيدهم حول فهمها للإسلام كما ورد في الأصول العشرين[2].

ـ ومن الثوابت أن الحركة تعتبر القوة شعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته، وأول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعد ذلك قوة الساعد والسلاح. ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً وإنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام، أو ضعيفة العقيدة خاملة الإيمان، فسيكون مصيرها الفناء والهلاك[3].

---

(١) دعوتنا + المذكرات + المؤتمر الثالث للإمام الشهيد.

(٢) المذكرات ١٧٠ + عبدالحليم ٤١ + رسالة التعاليم.

(٣) رسالة المؤتمر الخامس للإمام الشهيد.

ـ والثورة أعنف مظاهر القوة، ولكنها ليست من وسائل الحركة الإسلامية، وهي لا تؤمن بنفعها ونتائجها[1].

ـ ومن الثوابت عدم تعجل الخطوات.. فقد تكون الخطة الموضوعة طويلة ولكن ليس هناك غيرها. وإنما يمكن تقصير الأمد بمضاعفة الجهد. وخير لمن أراد أن يستعجل الثمرة قبل أوانها أن ينصرف عن هذه الدعوه[2].

ـ ومن الثوابت أن الحركة الإسلامية تتمنى لكل الهيئات الإسلامية الخير وتدعو لها بالتوفيق. وترى أن خير طريق نسلكها ألّا يشغلها الالتفات إلى غيرها عن الالتفات إلى نفسها. فالأمة محتاجة إلى جنود وجهاد، والوقت لا يتسع لمتطلع إلى الغير والانشغال به. فكل في ميدانه والله مع المحسنين[3].

والحركة الإسلامية تحرص على أن تتعاون مع هذه لهيئات، وهي تعمل جاهدة لتقريب وجهات النظر، التوفيق بين مختلف الفكر. وينبغي أن لا يباعد بين العاملين أي فقهي أو خلاف مذهبي[4].

---

١) رسالة المؤتمر الخامس والسادس.
٢) رسالة المؤتمر الخامس.
٣) المذكرات.
٤) رسالة المؤتمر الخامس.

٨ ـ الإحاطة والإدراك:

أن يكون العمل قائماً على أساس من الوعي الكامل للأهداف القريبة والبعيدة، وللظروف المحيطة المنظورة والخفية، وللمعادلات المحلية والأقليمية والدولية، وللقوى الفاعلة ولسياساتها المعلنة والخفية، إضافة إلى ملاحظة الإمكانات المتوفرة والمتاحة والتي يمكن امتلاكها..

فكم من حركات وتنظيمات استدرجت إلى مقاتلها ـ لغباء في التصور وعدم وعي لحقيقة ما يجري ـ وهي تحسب أنها تحسن صنعاً..

إنه يجب أن يلاحظ أن سياسات الدول والمنظمات والتنظيمات والجهات الفاعلة ليست ثابتة وليست مبدئية، وإنما تتبدل وتتغير في ضوء المصالح المنفردة حيناً والمشتركة أحياناً، والمؤقتة حيناً والدائمة في بعض الأحيان..

من هنا واجب الحركة استكشاف صورة الصراع والتحرك الحقيقيين في العالم، ورسم خرائط للسياسات المختلفة، وتحديد نقاط التقاطع بين هذه السياسات، ومن ثم تحديد كيفية التعامل مع الأحداث والأوضاع المختلفة في ضوء الإمكانات والثوابت وغير ذلك من الاعتبارات..

ـ إن على الحركة أن تدرس حتى مضمون (الشعار) ومدى تناسبه مع الظروف وإمكانية تحقيقه، قبل طرحه، وإلا

كان حجة عليها وليس لها، وكان بالتالي سبباً في إجهاض الشعار ذاته فضلاً عن الإساءة إلى معناه ومحتواه..

ـ كما إن عليها أن تدرس بعمق مواقفها السياسية والفكرية والاجتماعية وغيرها قبل الإعلان عنها.. وأن تلاحظ عند ذلك مدى توافق هذه المواقف مع ثوابتها ومخططاتها ومراحلها، إضافة إلى ملاحظة مدى صوابية وصلاحية هذه المواقف حاضراً ومستقبلاً..

فكم من حركات اهتزت بسبب من تناقض سياستها بعضها مع بعض، وبسبب من تناقض هذه السياسات مع ثوابتها العقدية والفكرية.

وكم من فئات استدرجت إلى مواقف خاطئة وتحالفات مشبوهة أو صراعات جانبية وغير ذلك من خلال موقف هوائي غير مدروس.

لم يعد جائزاً اليوم اتخاذ المواقف وإعلانها من قبل فرد في التنظيم ـ كائناً ما كان موقعه ـ قبل التشاور والدراسة وتقليب وجهات النظر وعبر أجهزة مسؤولة ومتخصصة في موضوع الموقف المراد اتخاذه وإعلانه.

والحركة الإسلامية التي تواجه تآمراً متعدد الأدوات والأشكال والصور والأساليب بمسيس الحاجة لالتزام هذه القواعد والأصول قبل غيرها لأنها المستهدفة الوحيدة من

التآمر من قوى الجاهلية ـ تنظيمات وأنظمة ومعسكرات ـ على امتداد العالم. .

٩ ـ التخطيط والتنظيم:

أن يكون العمل قائماً على قاعدة التخطيط والتنظيم وإشراك الجميع في تحمل المسؤولية، ووضع الإنسان المناسب في المكان المناسب، إضافة إلى التعامل بقاعدة (**الثواب والعقاب**) بتشجيع المحسن وإكرامه ومعاقبة المسيء بما يصلحه ويعافيه.

وكما أنه لا بد للتربية من مربين ـ كذلك ـ فإنه لا بد للتخطيط والتنظيم من مخططين ومنظمين. فليس كل فرد أو عامل على الساحة الإسلامية صالح للقيام بهذه المهمة كائناً ما كانت ثقافته الشرعية وقدرته الخطابية والوعظية وملكاته الكتابية والكلامية. لأنه لا بد وأن يكون ذا عقلية تنظيمية أولاً وخبرة بالشؤون والعلوم الإدراية ثانياً.

إن على الحركة الإسلامية أن تستفيد من كل ما أنتجه العصر من علوم تجريدية وما ابتكره من وسائل وتقنية وبخاصة في شؤون التخطيط والتنظيم والبرمجة والمعلوماتية والتوثيق إلخ. .

إن الحركة التي تملك أسباب المعرفة الفكرية والسياسية،

والتي تضع مخططاتها وترسم سياساتها وتحدد مواقفها بناء للمعرفة الموثقة والدقيقة تكون أقدر على مواجهة تحديات العصر ومفاجآت الأيام من تلك التي تسير بعفوية ولا تملك من أسباب التخطيط شيئاً، أو على أمية كاملة في العلوم الإدارية والتنظيمية.. ومن هنا الحض على امتلاك كل أسباب القوة في قول الله تعالى المعجز: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة..﴾.

ومن قبيل النقد الذاتي أقول إن الحركة الإسلامية مبتلاة بتخلف في العقلية التنظيمية، وهي بشكل عام دون المستوى الذي يفرضه الشرع ويتطلبه العصر.

والمقصود هنا بتخلف العقلية التنظيمية عدم استيعابها للأصول والقواعد والأصول التنظيمية، وبالتالي خروجها على هذه القواعد والأصول. ومن ذلك كذلك عدم ملاحظة (منطق الأوليات) بالنسبة لما هو كائن ولما ينبغي أن يكون، مما يجعل الممارسات والأعمال والتصرفات عفوية غير مدروسة وقد تكون متصادمة مع أبسط (أبجديات) التنظيم..

إن تخلف العقلية التنظيمية يعني عدم القدرة على تصنيف وتوزيع مفردات الأعمال والمشاريع والخطوات وفق قواعد وأصول سليمة وصحيحة، مما يجعلها متداخلة مهتزة وغير متوازنة أو متناسقة..

كل ذلك يعني أن ارتكاس العقلية التنظيمية معناه ارتكاس العمل الإسلامي وبالتالي ارتكاس الحركة الإسلامية وتخبطها وفشلها، مما يؤدي بالنتيجة إلى تصدعها وانهيارها..

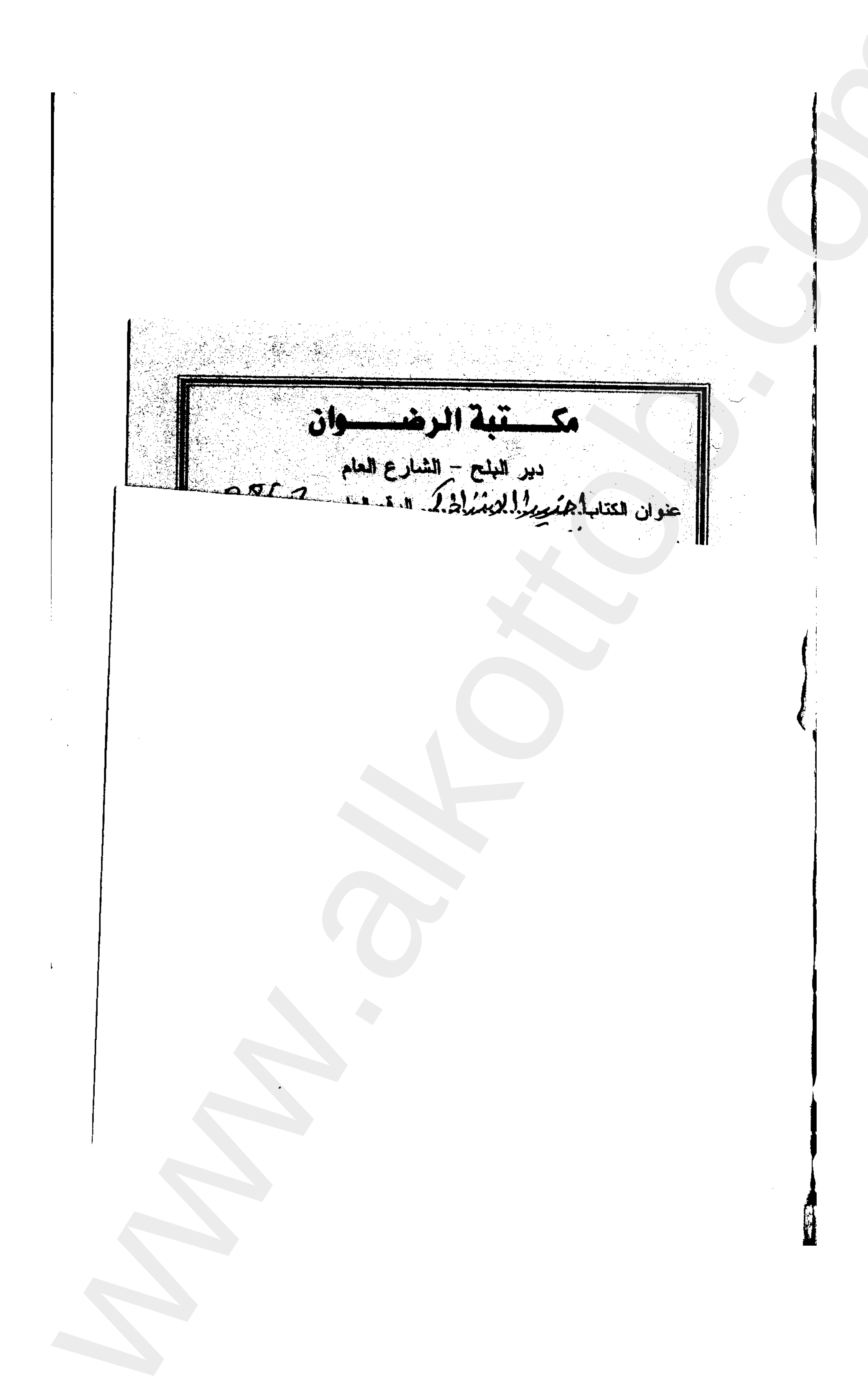
١٠ ـ التكامل والتوازن:

قيام العمل على أساس من التكامل والتوازن وعدم طغيان جانب على جانب، أو تداخل جزئية في أخرى. فطغيان جزئية من العمل يؤدي إلى إخلال المعادلة كلها.

والحركة الإسلامية ذات الأهداف التغييرية الكبيرة يجب أن تكون أحرص من غيرها على تحقيق التوازن في الاهتمامات وإعطاء كل جانب من جوانب العمل حقه من العناية والرعاية.

ـ فالعملية التربوية يجب أن تأخذ حظها من العناية كائناً ما كانت ظروف الحركة العامة. وفي الوقت الذي تتعطل فيه هذه العملية أو تضعف ستظهر الآثار السلبية في بنية الحركة لا محالة عاجلاً أم آجلاً..

ـ والعمل السياسي يجب أن يرتكز إلى مشروع إسلامي ويحقق أهدافاً إسلامية واضحة ومحددة، فضلاً عن استناده إلى ثوابت عقائدية وأدلة شرعية معتمدة.



ـ والعمل الاجتماعي يجب أن يحقق هدفاً إسلامياً فضلاً عن تقيده بالضوابط الشرعية حكماً ومسلكاً.. وهكذا في كل الأعمال الأخرى وعلى كل صعيد.

وكل خلل في هذا الجانب أو ذاك مدعاة للتفسخ والضعف والانهيار.

فنسأل الله تعالى الهدى والرشاد والتوفيق والسداد

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.
